

سورة المجادلة

مدنية

وآياتها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ يَا مُحَمَّد قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَالتّي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها امرأة من الأنصار.

واختلف أهل العلم في نسبها واسمها، فقال بعضهم: خولة بنت ثعلبة، وقال بعضهم: اسمها خويلة بنت ثعلبة.

وقال آخرون: هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصامت. وقال آخرون: هي خويلة ابنة الدليج وكانت مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها، وزوجها أوس بن الصامت، مراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أَنْتِ عَلَيَّ كظهر أُمِّي. ومحاورتها إياه في ذلك، وبذلك قال أهل التأويل، وتظاهرت به الرواية. ذكر من قال ذلك، والآثار الواردة به:

26087- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا أبو داود، قال: سمعت أبا العالية يقول: إن خويلة ابنة الدليج أتت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شقّ رأسه، فقالت: يا رسول الله، طالت صحبتي مع زوجي، ونفصت له بطني، وظاهر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَرُمْتُ عَلَيْهِ» فقالت: أشكو إلى الله فاقتي، ثم قالت: يا رسول الله طالت صحبتي، ونفصت له بطني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَرُمْتُ عَلَيْهِ» فجعل إذا قال لها: «حرمت عليه»، هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي، قال: فنزل الوحي، وقد قامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر، فأومأت إليها عائشة أن اسكتي، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قضى الوحي، قال: «ادْعِي زَوْجَكَ»، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا... إلى قوله: وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا: أي يرجع فيه فتحرير رقبته من قبل أن يمتاسا أن يستطيع رقبته؟ قال: لا، قال: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قال: يا رسول الله، إني إذا لم أكل في اليوم ثلاث مَرَّات خشيت أن يعيشو بصري قال: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطعام سِتِّينَ مِسْكِينًا قال: «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قال: لا يا رسول الله إلا أن تعينني، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعم.

26088- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن خويلة ابنة ثعلبة، وكان زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها، فجاءت تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ظاهر مني زوجي حين كبر سني، ورق عظمي فأنزل الله فيها ما تسمعون: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ لَعْفُو عَفْوَرٍ

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا يَرِيدُ أَنْ يَغْشَى بَعْدَ قَوْلِهِ ذَلِكَ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْرَرَ مُحَرَّرًا؟» قَالَ: مَالِي بِذَلِكَ يَدَانِ، أَوْ قَالَ: لَا أَجِدُ، قَالَ: «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ إِذَا أَخْطَأَ الْمَأْكُلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَارًا يَكُلُّ بَصْرَهُ، قَالَ: «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنْ تَعِينَنِي مِنْكَ بِعَوْنٍ وَصَلَاةٍ. قَالَ بَشَرٌ، قَالَ يَزِيدُ: يَعْنِي دَعَاءَ فَأَعَانَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسَةِ عَشَرَ صَاعًا، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا قَالَ: ذَاكَ أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ ظَاهِرٌ مِنْ أَمْرَاتِهِ خَوِيلَةُ ابْنَةُ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ كَبِيرِ سَنِي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَظَاهَرَ مِنِّي زَوْجِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ... إِلَى قَوْلِهِ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا يَرِيدُ أَنْ يَغْشَى بَعْدَ قَوْلِهِ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَدَعَاهُ إِلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً؟ قَالَ: لَا قَالَ: أَقَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا أَخْطَأَ أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَكُلُّ بَصْرَهُ قَالَ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَعِينَنِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَوْنٍ وَصَلَاةٍ، فَأَعَانَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسَةِ عَشَرَ صَاعًا، وَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

26089- حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَالَ لِأَمْرَاتِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي حَرُمْتَ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ ظَاهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهَا خَوِيلَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ وَظَاهَرَ مِنْهَا، فَاسْقَطَ فِي يَدَيْهِ وَقَالَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حَرُمْتَ عَلَيَّ، وَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: فَانْطَلَقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ مَاشِطَةً تَمْشِطُ رَأْسَهُ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ: «يَا حُوَيْلَةُ مَا أَمَرْنَا فِي أَمْرِكَ بِشَيْءٍ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا حُوَيْلَةُ أَبْشِيرِي»، قَالَتْ: خَيْرًا، قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ... إِلَى قَوْلِهِ: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا قَالَتْ: وَأَيُّ رَقَبَةٍ لَنَا، وَاللَّهُ مَا يَجِدُ رَقَبَةً غَيْرِي، قَالَ: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قَالَتْ: وَاللَّهُ لَوْلَا أَنَّهُ يَشْرَبُ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَذَهَبَ بَصْرُهُ، قَالَ: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا قَالَتْ: مَنْ أَيْنَ؟ مَا هِيَ إِلَّا أَكَلَةٌ إِلَى مِثْلِهَا، قَالَ: فَرَعَاهُ بِشَطْرِ وَسَقَى ثَلَاثِينَ صَاعًا وَالْوَسَقَ سِتُونَ صَاعًا فَقَالَ: «لِيُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَلِيُرَاجِعَكَ».

26090- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ... إِلَى قَوْلِهِ: فَأُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَذَلِكَ أَنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ الصَّامِتِ أَمْرَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ ظَاهَرَ مِنْهَا زَوْجَهَا، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ مِثْلَ ظَهْرِ أُمِّي، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنْ زَوْجِي كَانَ تَزَوَّجَنِي، وَأَنَا أَحَبُّ، حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ وَدَخَلَتْ فِي السِّنِّ قَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ مِثْلَ ظَهْرِ أُمِّي، فَتَرَكَنِي إِلَى غَيْرِ أَحَدٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَجِدُ لِي رُخْصَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ

يَنْعَشْنِي وَإِيَّاهُ بِهَا فَحَدَّثَنِي بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَمَرْتُ فِي شَأْنِكَ بِشَيْءٍ حَتَّى الْآنَ، وَلَكِنْ أَرْجِعِي إِلَى بَيْتِكَ، فَإِنْ أَوْمَرْتُ بِشَيْءٍ لَا أَعِمْهُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكِتَابِ رَخَصَتَهَا وَرَخَصَ زَوْجَهَا: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا... إِلَى قَوْلِهِ: وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى زَوْجِهَا فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَرَدْتَ إِلَى يَمِينِكَ الَّتِي أَقْسَمْتَ عَلَيْهَا؟» فَقَالَ: وَهَلْ لَهَا كَفَّارَةٌ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً؟» قَالَ: إِذَا يَذْهَبَ مَالِي كُلُّهُ، الرِّقْبَةُ غَالِيَةٌ وَأَنَا قَلِيلُ الْمَالِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَكَلَّ بِصُرِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ تَعِينَنِي عَلَى ذَلِكَ بِعَوْنٍ وَصَلَاةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي مُعِينُكَ بِخَمْسَةِ عَشَرَ صَاعًا، وَأَنَا دَاعٍ لَكَ بِالْبَرَكَاتِ» فَأَصْلَحَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا.

قَالَ: وَجَعَلَ فِيهِ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ لِمَنْ كَانَ مُوسِرًا لَا يَكْفُرُ عَنْهُ إِلَّا تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ إِذَا كَانَ مُوسِرًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُوسِرًا فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، لَا يَصْلَحُ لَهُ إِلَّا الصَّوْمُ إِذَا كَانَ مُعْسِرًا، إِلَّا أَنْ لَا يَسْتَطِيعَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَذَلِكَ كُلُّهُ قَبْلَ الْجَمَاعِ.

26091- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدَنِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: كَانَتْ خَوْلَةُ ابْنَةِ ثَعْلَبَةَ تَحْتَ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ، وَكَانَ رَجُلًا بِهِ لَمَمٌ، فَقَالَ فِي بَعْضِ هَجَرَاتِهِ: أَنْتَ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، ثُمَّ نَدِمَ عَلَى مَا قَالَ، فَقَالَ لَهَا: مَا أَظْنُكَ إِلَّا قَدْ حَرَمْتَ عَلَيَّ قَالَتْ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ إِلَهُ طَلَاقًا. قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلْهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي أَسْتَحِي مِنْهُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ هَذَا، فَقَالَتْ: فَدَعْنِي أَنْ أَسْأَلَهُ، فَقَالَ لَهَا: سَلِيهِ فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ أَبُو وَلَدِي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، قَدْ قَالَ كَلِمَةً، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا، قَالَ: أَنْتَ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حَرَمْتَ عَلَيْهِ»، قَالَتْ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا فَرَادَتْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَارًا، ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو الْيَوْمَ شِدَّةَ حَالِي وَوَحْدَتِي، وَمَا يَشُقُّ عَلَيَّ مِنْ فِرَاقِهِ، اللَّهُمَّ فَأَنْزِلْ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّكَ، فَلَمْ تَرَمْ مَكَانَهَا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ إِلَى أَنْ ذَكَرَ الْكَفَّارَاتِ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَعْتِقْ رَقَبَةً»، فَقَالَ لَا أَجِدُ، فَقَالَ: «صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، إِنِّي لِأَصُومَ الْيَوْمَ الْوَاحِدَ فَيَشُقُّ عَلَيَّ قَالَ: «أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: أَمَا هَذَا فَتَعَمَّ.

26092- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا قَالَ نَزَلَتْ فِي امْرَأَةٍ اسْمُهَا خَوْلَةُ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ اسْمُهَا خُوَيْلَةُ، ابْنَةُ ثَعْلَبَةَ وَزَوْجُهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنْ زَوْجَهَا جَعَلَهَا عَلَيْهِ كَظْهَرِ أُمِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حَرَمْتَ

عَلَيْهِ»، وهو حينئذ يغسل رأسه، فقالت: انظر جُعِلت فداك يا نبي الله، فقال: «ما أراك إلا قد حُرِّمَتْ عَلَيْهِ»، فقالت: انظر في شأني يا رسول الله، فجعلت تجادله، ثم حوّل رأسه ليغسله، فتحوّلت من الجانب الآخر، فقالت: انظر جعلني الله فداك يا نبي الله، فقالت الغاسلة: أقصري حديثك ومخاطبتك يا خويلة، أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متربدا ليوحى إليه؟ فأنزل الله: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا... حتى بلغ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا قال قتادة: فحرمها، ثم يريد أن يعود لها فيطأها فتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ... حتى بلغ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ قال أيوب: أحسبه ذكره عن عكرمة، أن الرجل قال: يا نبي الله ما أجد رقبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بِرَائِدِكَ»، فأنزل الله عليه: صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا فقال: والله يا نبي الله ما أطيق الصوم، إني إذا لم أكل في اليوم كذا وكذا أكلة لقيت ولقيت، فجعل يشكو إليه، فقال: «ما أنا بِرَائِدِكَ»، فنزلت: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِينًا.

26093- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، قال: حدثنا ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله الله عز وجل: الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا قال: تجادل محمدا صلى الله عليه وسلم، فهي تشتكي إلى الله عند كبره وكبرها حتى انتفض وانتفض رحمها.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله الله الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا قال: محمدا في زوجها قد ظاهر منها، وهي تشتكي إلى الله، ثم ذكر سائر الحديث نحوه.

26094- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبان العطار، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن عروة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليّ تسألني عن خويلة ابنة أوس بن الصامت، وإنها ليست بابنة أوس بن الصامت، ولكنها امرأة أوس، وكان أوس امرأ به لمم، وكان إذا اشتدّ به لممه تظاهر منها، وإذا ذهب عنه لممه لم يقل من ذلك شيئا، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه وتشتكي إلى الله، فأنزل الله ما سمعت، وذلك شأنهما.

26095- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق، يحدث عن معمر بن عبد الله، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: حدثني خويلة امرأة أوس بن الصامت قالت: كان بيني وبينه شيء، تعنى زوجها، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم خرج إلى نادي قومه، ثم رجع فراودني عن نفسي، فقالت: كلا والذي نفسي بيده حتى ينتهي أمري وأمرك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقضي فيّ وفيك أمره، وكان شيخا كبيرا رقيقا، فغلبته بما تغلب به المرأة القوية الرجل الضعيف، ثم خرجت إلى جارة لها، فاستعارت ثيابها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلست بين يديه، فذكرت له أمره، فما برحت حتى أنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قالت: لا يقدر على ذلك، قال: «إنا سنعيه على ذلك بفرق من تمر» قلت: وأنا أعينه بفرق آخر، فأطعم ستين مسكينا.

26096- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن تميم، عن عروة، عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في ناحية

البيت تشكو زوجها ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ... إلى آخر الآية.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتناجي النبي صلى الله عليه وسلم أسمع بعض كلامها، ويخفى عليّ بعض كلامها، إذ أنزل الله قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا.

26097- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة بن الزبير، قال: قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة ابنة ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قال: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا قال: زوجها أوس بن الصامت.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، إن خولة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيخفى عليّ أحياناً بعض ما تقول، قالت: فأنزل الله عز وجل قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ.

26098- حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن جميلة كانت امرأة أوس بن الصامت، وكان أمراً به لمم، وكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته، فأنزل الله عز وجل آية الطهار.

26099- حدثني يحيى بن بشر القرقيساني، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي، قال: حدثنا حصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان ظهار الجاهلية طلاقاً، فأول من طاهر في الإسلام أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت من امرأته الخزرجية، وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما طاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت به نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إن أوساً طاهر مني، وإنا إن افترقنا هلكنا، وقد نثرت بطني منه، وقدمت صحبته فهي تشكو ذلك وتبكي، ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأنزل الله عز وجل: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا... إلى قوله: وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أَتَقْدِرُ عَلَى رَقَبَةٍ تُغْتَفُهَا؟» فقال: لا والله يا رسول الله، ما أقدر عليها، فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه، ثم راجع أهله.

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا».

وقوله: وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ يقول: وتشتكي المجادلة ما لديها من الهم بظهار زوجها منها إلى الله وتسأله الفرج واللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا يعني تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة خولة ابنة ثعلبة إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتجاورانه، وغير ذلك من كلام خلقه، بصير بما يعلمون، ويعمل جميع عباده.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ}.

يقول تعالى ذكره: الذين يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم، فيقولون لهن: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية. كذلك:

26100- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، قال: كان الظهار طلاقاً في الجاهلية، الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبداً، فأنزل الله عز وجل فيه ما أنزل.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة سوى نافع، وعامة قراء الكوفة خلا عاصم: «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء وتشديد الطاء وإثبات الألف، وكذلك قرأوا الأخرى بمعنى يتظاهرون، ثم أدغمت التاء في الطاء فصارتا طاء مشددة. وذكر أنها في قراءة أبي: «يَتَّظَاهِرُونَ» وذلك تصحيح لهذه القراءة وتقوية لها وقرأ ذلك نافع وأبو عمرو وكذلك بفتح الياء وتشديد الطاء، غير أنهما قرآه بغير ألف: «يَظْهَرُونَ». وقرأ ذلك عاصم: يُظَاهِرُونَ بتخفيف الطاء وضم الياء وإثبات الألف.

والصواب من القول في ذلك عندي أن كل هذه القراءات متقاربات المعاني. وأما «يُظَاهِرُونَ» فهو من تظاهر، فهو يتظاهر. وأما «يَتَّظَاهِرُونَ» فهو من تظهر فهو يتظهر، ثم أدغمت التاء في الطاء فقل: يظهر. وأما يُظَاهِرُونَ فهو من ظاهر يظاهر، فبأية هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب.

وقوله: مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ يقول تعالى ذكره: ما نساؤهم اللائي يُظَاهِرْنَ مِنْهُنَّ بأمهاتهم، فيقولوا لهن: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، بل هنَّ لهم حلال. وقوله: إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ لا اللائي قالوا لهن ذلك. وقوله: وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا يقول جل ثناؤه: وإن الرجال ليقولون منكراً من القول الذي لا تُعرف صحته وزوراً: يعني كذباً، كما:

26101- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا قال: الزور: الكذب وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ يقول جل ثناؤه: إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا، غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ يُوعْظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

يقول جل ثناؤه: والذين يقولون لنسائهم: أنتن علينا كظهور أمهاتنا. وقوله: ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا اختلف أهل العلم في معنى العود لما قال المظاهر، فقال بعضهم: هو الرجوع في تحريم ما حرم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره، فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها. ذكر من قال ذلك:

26102- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا قال: يريد أن يغشى بعد قوله.
حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، مثله.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا قال: حرّمها، ثم يريد أن يعود لها فيطأها.
وقال آخرون نحو هذا القول، إلا أنهم قالوا: إمساكه إياها بعد تطهيره منها، وتركه فراقها عود منه لما قال، عَزَمَ على الوطء أو لم يعزم. وكان أبو العالية يقول: معنى قوله: لِمَا قَالُوا: فيما قالوا.

26103- حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، قال: سمعت أبا العالية يقول في قوله: ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا: أي يرجع فيه.
واختلف أهل العربية في معنى ذلك، فقال بعض نحويي البصرة في ذلك المعنى: فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا، فمن لم يجد فصيام، فإطعام ستين مسكينا، ثم يعودون لما قالوا إنا لا نفعله فيفعلونه هذا الظاهر، يقول: هي عليّ كظهر أمي، وما أشبه هذا من الكلام، فإذا أعتق رقبة أو أطعم ستين مسكينا عاد لما قد قال: هو عليّ حرام يفعله. وكان قائل هذا القول كان يرى أن هذا من المقدم الذي معناه التأخير.

وقال بعض نحويي الكوفة ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا، يريدون النكاح، يريد: يرجعون عما قالوا، وفي نقض ما قالوا، قال: ويجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل، تريد إن فعل مرّة أخرى، ويجوز إن عاد لما فعل: إن نقض ما فعل، وهو كما تقول: حلف أن يضربك، فيكون معناه: حلف لا يضربك، وحلف ليضربك.
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى اللام في قوله لِمَا قَالُوا بمعنى إلى أو في، لأن معنى الكلام: ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه. وإن قيل معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا، أو في تحليل ما حرّموا فصواب، لأن كلّ ذلك عود له، فتأويل الكلام: ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم.

وقوله: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمَاسَا يقول: فعلية تحرير رقبة، يعني عتق رقبة عبد أو أمة، من قبل أن يماس الرجل المظاهر امرأته التي ظاهر منها أو تماسه.

واختلف في المعنى بالمسييس في هذا الموضع نظير اختلافهم في قوله: وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وقد ذكرنا ذلك هنالك. وسنذكر بعض ما لم نذكره هنالك:

26104- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فهو الرجل يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي فإذا قال ذلك، فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر عن يمينه بعتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا والممسّ: النكاح فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا وإن هو قال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن فعلت كذا وكذا، فليس يقع في ذلك طهار حتى يحنث، فإن حنث فلا يقربها حتى يكفر، ولا يقع في الظهار طلاق.

26105- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، قال: حدثنا أشعث، عن الحسن أنه كان لا يرى بأسا أن يغشى المظاهر دون الفرج.

26106- حدثنا علي بن سهل، قال: حدثنا زيد، قال: قال سفيان: إنما المظاهرة عن الجماع ولم ير بأسا أن يقضي حاجته دون الفرج أو فوق الفرج، أو حيث يشاء، أو يباشر.
وقال آخرون: عني بذلك كل معاني المسيس، وقالوا: الآية على العموم.
ذكر من قال ذلك:

26107- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا وهيب، عن يونس، قال: بلغني عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس.
وقوله: دَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَوْجِبْ رَبِّكُمْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ عِظَةً لَكُمْ تَتَعَذَّبُونَ بِهِ، فَتَنْتَهُونَ عَنِ الظَّهَارِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ بِأَعْمَالِكُمُ الَّذِي تَعْلَمُونَهَا أَيُّهَا النَّاسُ ذُو خَبْرٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، فَانْتَهُوا عَنْ قَوْلِ الْمُنْكَرِ وَالزُّورِ.

الآية: 4

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ كِتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} .
يقول تعالى ذكره: فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحررها، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا والشهران المتتابعان هما اللذان لا فصل بينهما بإفطار في نهار شيء منهما إلا من عذر، فإنه إذا كان الإفطار بالعدر ففيه اختلاف بين أهل العلم، فقال بعضهم: إذا كان إفطاره لعدر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم.
وقال آخرون: بل يستأنف، لأن من أفطر بعدر أو غير عذر لم يتابع صوم شهرين. ذكر من قال: إذا أفطر بعدر وزال العذر بنى وكان متابعا:
26108- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن عدي وعبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب أنه قال في رجل صام من كفارة الظهار، أو كفارة القتل، ومرض فأفطر، أو أفطر من عذر، قال: عليه أن يقضي يوما مكان يوم، ولا يستقبل صومه.
حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، بمثله.

26109- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب في المظاهر الذي عليه صوم شهرين متتابعين، فصام شهرا، ثم أفطر، قال: يتم ما بقي.
حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن وسعيد بن المسيب في رجل صام من كفارة الظهار شهرا أو أكثر ثم مرض، قال: يعتد بما مضى إذا كان له عذر.

26110- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا سالم بن نوح، قال: حدثنا عمر بن عامر، عن قتادة، عن الحسن في الرجل يكون عليه الصوم في قتل أو نذر أو ظهار، فصام بعضه ثم أفطر، قال: إن كان معذورا فإنه يقضي.
26111- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن هشام، عن الحسن، قال: إن أفطر من عذر أتم، وإن كان من غير عذر استأنف.

26112- حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن حجاج، عن عطاء، قال: من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر، قال: يقضي ما بقي عليه.

26113- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن جُرَيْج، عن عطاء بن أبي رباح وعمر بن دينار في الرجل يفطر في اليوم الغيم، يظنُّ أن الليل قد دخل عليه في الشهرين المتتابعين أنه لا يزيد على أن يبذله، ولا يستأنف شهرين آخرين.

26114- حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، عن عبد الملك، عن عطاء قال: إن جامع المعتكف وقد بقي عليه أيام من اعتكافه قال: يتم ما بقي، والمظاهر كذلك.

26115- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، قال: إذا كان شيئاً ابتلي به بنى على صومه، وإذا كان شيئاً هو فعله استأنف، قال: سفيان: هذا معناه.

26116- حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، عن عامر في رجل ظاهر، فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض، قال: يتم ما بقي.

حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت إسماعيل عن الشعبي بنحوه.

حدثنا أبو كُريب ويعقوب قالا: حدثنا هشيم، عن إسماعيل، عن الشعبي في رجل عليه صيام شهرين متتابعين، فصام فمرض فأفطر، قال: يقضي ولا يستأنف.

ذكر من قال: يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر:

26117- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم في رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر، قال: يستأنف، والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضي.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: إذا مرض فأفطر استأنف، يعني من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر.

26118- حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا هشيم، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: يستأنف.

وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال: يبني المفطر بعذر، ويستقبل المفطر بغير عذر، لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر، فمثله، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قبل الله، فكل عذر كان من قبل الله فمثله.

وقوله: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأُطْعَمَ سِتِّينَ مَسْكِينًا يقول تعالى ذكره: فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكينا. وقد بينا وجه الإطعام في الكفارات فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته.

وقوله: ذَلِكَ لِيُتَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يقول جل ثناؤه: هذا الذي فرضت على من ظاهر منكم ما فرضت في حال القدرة على الرقبة، ثم خففت عنه مع العجز بالصوم، ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام، وإنما فعلته كي تقرّ الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويصدقوا بذلك، ويعملوا به، وينتهوا عن قول الزور والكذب وتلك خُدُودُ الله يقول تعالى ذكره: وهذه الحدود التي حدّها الله لكم، والفروض التي بينها لكم حدود الله فلا تتعدّوها أيها الناس وللكافرين بها، وهم جاحدو هذه

الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول:
عذاب مؤلم.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} .
يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه, فيجعلون حدودا غير حدوده, وذلك هو المحادة لله ولرسوله, وأما قتادة فإنه كان يقول في معنى ذلك ما:

26119- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يقول: يعادون الله ورسوله.
وأما قوله: كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فإنه يعني: غيظوا وأخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادّوا الله ورسوله, وخزّوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26120- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ خُزُوا كما خزي الذين من قبلهم.
وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: معنى كُبِتُوا أهلكوا.
وقال آخر منهم: يقول: معناه غيظوا وأخزوا يوم الخندق كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يريد من قاتل الأنبياء من قبلهم.
وقوله: وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ يقول: وقد أنزلنا دلالات مفصلات, وعلامات محكمات تدلّ على حقائق حدود الله.
وقوله: وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يقول تعالى ذكره: ولجاحدي تلك الآيات البينات التي أنزلناها على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم, ومنكرها عذاب يوم القيامة مهين: يعني مذلّ في جهنم.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} .
يقول تعالى ذكره: وللكافرين عذاب معين في يوم يبعثهم الله جميعا, وذلك يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً من قبورهم لموقف القيامة فَيُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ يقول تعالى ذكره: أحصى الله ما عملوا, فعده عليهم, وأثبتته وحفظه, ونسيه عاملوه والله على كل شيء شهيد يقول:
وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَمَلُوهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ شَهِيدٌ يعني شاهد يعلمه ويحيط به فلا يغرب عنه شيء منه.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظريا محمد بعين قبلك فترى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ, لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره يقول جلّ ثناؤه: فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم, ثم وصف جلّ ثناؤه قربته

من عباده وسماعه نجواهم, وما يكتُمونه الناس من أحاديثهم, فيتحدثونه سرًا بينهم, فقال: ما يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ يَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ, لا يخفى عليه شيء من أسرارهم وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ يَقُولُ: وَلَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ كَذَلِكَ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ يَقُولُ: وَلَا أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةٍ وَلَا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِذَا تَنَاجَوْا أَيُّمًا كَانُوا يَقُولُ: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَمَكَانٍ كَانُوا.

وعنى بقوله هُوَ رَايَهُمْ بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه, وهو على عرشه, كما: 26121. حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: ثني نصر بن ميمون المضروب, قال: حدثنا بكير بن معروف, عن مقاتل بن حيان, عن الضحاك, في قول ما يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ... إلى قوله هُوَ مَعَهُمْ قَالَ: هو فوق العرش وعلمه معهم أَيُّمًا كَانُوا تَمَّ يَبْنِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

وقوله: تَمَّ يَبْنِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يقول تعالى ذكره: ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل مما يحبه ويسخطه يوم القيامة إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ بِنَجْوَاهُمْ وَأَسْرَارِهِمْ, وسرائر أعمالهم, وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ما يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ فقرأت قراء الأمصار ذلك ما يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى بِالْيَاءِ, خلا أبي جعفر القاريء, فإنه قرأه: «ما تَكُونُ» بالتاء. والياء هي الصواب في ذلك, لإجماع الحجة عليها, ولصحتها في العربية.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُئْسَرُ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى مِنَ الْيَهُودِ ثُمَّ يَعُودُونَ فَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُمْ عَنْهَا, ويتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26122. حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى قَالَ: الْيَهُودُ.

قوله: ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ يقول جل ثناؤه: ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه من النجوى وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ يقول جل ثناؤه: ويتناجون بما حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْعُدْوَانِ, وذلك خلاف أمر الله ومعصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَيَتَنَاجَوْنَ فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين والبصريين وَيَتَنَاجَوْنَ عَلَى مِثَالٍ يَتَفَاعَلُونَ, وكان يحيى وحمزة والأعمش يقرأون «وَيَتَنَجَّوْنَ» عَلَى مِثَالٍ يَفْتَعَلُونَ. واعتل الذين قرأوه: يَتَنَاجَوْنَ بقوله: إِذَا تَنَاجَيْتُمْ وَلَمْ يَقُلْ: إِذَا اتَّجَيْتُمْ.

وقوله: وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: وَإِذَا جَاءَكَ يَا مُحَمَّد هؤلاء الذين نهوا عن النجوى، الذين وصف الله جل ثناؤه صفتهم، حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، وكانت تحيتهم التي كانوا يحيونه بها التي أخبر الله أنه لم يحيه بها فيما جاءت به الأخبار، أنهم كانوا يقولون: السام عليك. ذكر الرواية الواردة بذلك:

26123- حدثنا ابن حُمَيد وابن وكيع قالا: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ»، فقلت: يا رسول الله، ألسنت ترى ما يقولون؟ فقال: «أَلَسْتُ تَرَيْتَنِي أُرَدُّ عَلَيْهِمْ مَا يَقُولُونَ؟ أَقُولُ: عَلَيْكُمْ» وهذه الآية في ذلك نزلت وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْمَصِيرَ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان اليهود يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون: السام عليكم، فيقول: «عَلَيْكُمْ» قالت عائشة: السام عليكم وَعَصَبُ اللَّهِ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ»، قالت: إنهم يقولون: السام عليكم، قال: «إِنِّي أَقُولُ: عَلَيْكُمْ»، فنزلت: وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قَالَ: فَإِنَّ الْيَهُودَ يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون: السام عليكم.

26124- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قَالَ: كانت اليهود يأتون النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون: السام عليكم.

26125- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ... إِلَى فَيَنْسَ الْمَصِيرَ قَالَ: كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حيوه: سام عليكم، فقال الله حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْمَصِيرَ.

26126- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قَالَ: يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضاً يهود.

26127- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قَالَ: اليهود كانت تقول: سام عليكم.

26128- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري أن عائشة فطنت إلى قولهم، فقالت: وعليكم السامة واللعنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»، فقالت: يا نبي الله ألم تسمع ما يقولون؟ قال: «أَقْلَمَ تَسْمَعِي مَا أَرَدَ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ: عَلَيْكُمْ».

26129- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَذُرُونَ مَا قَالَ؟» قالوا: سلم يا رسول الله، قال: «بَلْ قَالَ: سَأْمُ عَلَيْكُمْ، أي تسأمون دينكم»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَقُلْتُ سَأْمُ عَلَيْكُمْ؟» قال: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكَ»، أي عليك ما قلت.

26130- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قال: هؤلاء يهود، جاء ثلاثة نفر منهم إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم، فتناجوا ساعة، ثم استأذن أحدهم، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: السام عليكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكَ»، ثم الثاني، ثم الثالث قال ابن زيد: السام: الموت.

وقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ يقول جل ثناؤه: ويقول محيوك بهذه التحية من اليهود: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد صلى الله عليه وسلم، فيعجل عقوبته لنا على ذلك، يقول الله: حسب قائل ذلك يا محمد جهنم، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة، فبئس المصير جهنم.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إِذَا تَنَاجَيْتُمْ بَيْنَكُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَلَكِنْ تَنَاجَوْا بِالْبِرِّ يَعْنِي طَاعَةَ اللَّهِ وَمَا يَقْرَبُكُمْ مِنْهُ وَالتَّقْوَى يَقُولُ: وَبَاتِقَائِهِ بِأَدَاءِ مَا كَلَّفَكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ يَقُولُ: وَخَافُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ، وَعِنْدَهُ مَجْتَمَعُكُمْ فِي تَضْيِيعِ فَرَائِضِهِ، وَالتَّقَدُّمُ عَلَى مَعَاصِيهِ أَنْ يَعَاقِبَكُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ مَصِيرِكُمْ إِلَيْهِ.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِصَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

يقول تعالى ذكره: إِنَّمَا الْمَنَاجَاةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي النَّجْوَى الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ، أَيْ ذَلِكَ هُوَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: غِييَ بِذَلِكَ مَنَاجَاةُ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

26131- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ يَغِيظُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَكْبُرُ عَلَيْهِمْ، فَانْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِصَارِهِمْ شَيْئًا...} الآية.

وقال آخرون بما:

26132- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِصَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} قال: كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ الْحَاجَةَ لِيَرَى النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ نَاجَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع ذلك من أحد. قال: والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد، وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم: إنما يتناجون في أمور قد حضرت، وجموع قد جمعت لكم وأشياء، فقال الله: **إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا...** إلى آخر الآية.

26133- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، قال: كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون، يشق عليهم، فنزلت **إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا**. وقال آخرون: غني بذلك أحلام النوم التي يراها الإنسان في نومه فتحزنه. ذكر من قال ذلك:

26134- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن داود البلخي، قال: سئل عطية، وأنا أسمع الرؤيا، فقال: الرؤيا على ثلاث منازل، فمنها وسوسة الشيطان، فذلك قوله **إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ** ومنها ما يحدث نفسه بالنهار فيراه بالليل ومنها كالأخذ باليد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غني به مناجاة المنافقين بعضهم بعضا بالإثم والعدوان، وذلك أن الله جل ثناؤه تقدم بالنهاي عنها بقوله **إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ** ثم عما في ذلك من المكروه على أهل الإيمان، وعن سبب نهيه إياهم عنه، فقال: **إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا** فبين بذلك إذ كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك، وكان عقيب نهيه عن التجوى بصفة أنه من صفة ما نهى عنه.

وقوله: **وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** يقول تعالى ذكره: وليس التناجي بضار المؤمنين شئنا إلا بإذن الله، يعني بقضاء الله وقدره.

وقوله **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** يقول تعالى ذكره: وعلى الله فليتوكل في أمورهم أهل الإيمان به، ولا يحزنوا من تناجي المنافقين ومن يكيدهم بذلك، وأن تناجيهم غير ضارهم إذا حفظهم ربهم.

الآية: 11

القول في تأويل قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس يعني بقوله تفسحوا توسعوا من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعا.

واختلف أهل التأويل في المجلس الذي أمر الله المؤمنين بالتفسيح فيه، فقال بعضهم: ذلك كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم عليه خاصة. ذكر من قال ذلك:

26135- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ** قال: مجلس النبي صلى الله عليه وسلم كان يقال ذاك خاصة.

حدثنا الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

26136- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ...** الآية، كانوا إذا رأوا

من جاءهم مقبلاً ضُتُّوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض.

26137- حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ، فِي قَوْلِهِ: إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ قَالَ: كَانَ هَذَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ حَوْلَهُ خَاصَّةً يَقُولُ: اسْتَوْسِعُوا حَتَّى يَصِيبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَجْلِسًا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ أَيْضًا مَقَاعِدُ لِلْقِتَالِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَتَنَافَسُونَ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُمْ: إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَافْسَحُوا. 26138- حَدَّثَنِي يُونُسٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ قَالَ: هَذَا مَجْلِسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي فِيَقُولُ: افْسَحُوا لِي رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَيُضَنُّ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِقَرِيْبِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَرَأَى أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُمْ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ غُنِيَ بِذَلِكَ فِي مَجَالِسِ الْقِتَالِ إِذَا اصْطَفَوْا لِلْحَرْبِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

26139- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ قَالَ: ذَلِكَ فِي مَجْلِسِ الْقِتَالِ. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ، وَلَمْ يَخْصُصْ بِذَلِكَ مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ مَجْلِسِ الْقِتَالِ، وَكُلَا الْمَوْضِعَيْنِ يُقَالُ لَهُ مَجْلِسٌ، فَذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمَجَالِسِ مِنْ مَجَالِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجَالِسِ الْقِتَالِ.

وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ: «تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ» عَلَى التَّوْحِيدِ غَيْرِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعَاصِمٍ، فَإِنَّهُمَا قَرَأَا ذَلِكَ فِي الْمَجَالِسِ عَلَى الْجَمَاعِ. وَبِالتَّوْحِيدِ قِرَاءَةُ ذَلِكَ عِنْدَنَا لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: فَافْسَحُوا يَقُولُ: فَوْسَعُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ يَقُولُ: يَوْسَعِ اللَّهُ مَنَازِلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَإِذَا قِيلَ ارْتَفَعُوا، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ: وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ قَوْمُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوٍّ، أَوْ صَلَاةٍ، أَوْ عَمَلٍ خَيْرٍ، أَوْ تَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَوْمُوا. وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

26140- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا إِلَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ قَالَ: إِذَا قِيلَ: انْشُرُوا فَانْشُرُوا إِلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاةِ.

26141- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: فَانْشُرُوا قَالَ: إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، قِتَالِ عَدُوٍّ، أَوْ أَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ حَقٍّ مَا كَانَ.

26142- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا يقول: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا. وقال الحسن: هذا كله في الغزو.

26143- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا كان إذا نودي للصلاة تاقل رجال، فأمرهم الله إذا نودي للصلاة أن يرتفعوا إليها، يقوموا إليها.

26144- وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا قال: انشُرُوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هذا في بيته إذا قيل انشُرُوا، فارتفعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن له حوائج، فأحب كل رجل منهم أن يكون آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا. وإنما اخترت التأويل الذي قلت في ذلك، لأن الله عز وجل أمر المؤمنين إذا قيل لهم انشُرُوا، أن ينشُرُوا، فعمم بذلك الأمر جميع معاني النشور من الخيرات، فذلك على عمومته حتى يخصه ما يجب التسليم له. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة فانشُرُوا بضم الشين، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة بكسرهما. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمنزلة يعكفون ويعكفون، ويعرثون ويعرثون، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم فما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم تفسحوا، أو بنشورهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشُرُوا إليها، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به، كما:

26145- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ إن بالعلم لأهله فضلاً، وإن له على أهله حقاً، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله.

وكان مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير يقول: فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع.

وكان عبد الله بن مطرف يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاةً وصدقةً، والآخر أفضل منه بونا بعيداً، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدهما ورعاً لله عن محارمه.

26146- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به.

وقوله: وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة، لا يخفى عليه المطيع منكم ربه من العاصي، وهو مجاز جميعكم بعمله المحسن بإحسانه، والمسييء بالذي هو أهله، أو يعفو.

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إذا ناجيتم رسول الله، فقدموا أمام نجواكم صدقة تتصدقون بها على أهل المسكنة والحاجة ذلك خير لكم يقول: وتقديمكم الصدقة أمام نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خير لكم عند الله وأطهر لقلوبكم من المأثم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26147- حدثني محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ قال: نُهَوَّأ عَنْ مَنَاجَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، فَلَمْ يَنَاجِهِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدَّمَ دِينَارًا فَتَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ أُنْزِلَتِ الرَّخْصَةُ فِي ذَلِكَ.

26148- حدثنا محمد بن عبيد بن محمد المحاربي، قال: حدثنا المطلب بن زياد، عن ليث، عن مجاهد، قال: قال علي رضي الله عنه: إِنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَآيَةٌ مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ قال: فُرِضَتْ، ثُمَّ نُسِخَتْ.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ قال: نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا، فلم يَنَاجِهِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدَّمَ دِينَارًا صَدَقَةً تَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ أُنْزِلَتِ الرَّخْصَةُ.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا، عن مجاهد، قال: قال علي رضي الله عنه: آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَصَرَفْتُهُ بَعِشْرَةَ دِرْهَمٍ، فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَدَّقْتُ بِدِرْهَمٍ، فَنُسِخَتْ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ.

26149- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ قال: سَأَلَ النَّاسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ، فَوَعِظَهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ. وَكَانَ الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْضِيَهَا حَتَّى يَقْدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَدَقَةً، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الرَّخْصَةَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ قال: إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار.

26150- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ... إِلَى فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال: كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة، فلما نزلت الزكاة نُسِخَ هَذَا.

26151- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرُوا الْمَسَائِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى شَقُوا عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخَفِّفَ عَنْ نَبِيِّهِ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ صَبَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَكَفُوا عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ هَذَا فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَضِيقَ.

26152- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن أبي المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن عليّ بن علقمة الأنماري، عن عليّ، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَا تَرَى؟ دِينَارٌ؟» قال: لَا يَطِيقُونَ، قال: «نِصْفُ دِينَارٍ؟» قال: «مَا تَرَى؟» قال: شعيرة، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكَ لَرَهِيْدٌ» قال عليّ رضي الله عنه: فَبَيَّ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَوْلُهُ: إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَةً فَانزَلَتْ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَاتٍ.

26153- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَةً لئلا يَنَاجِي أَهْلَ الْبَاطِلِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَشْقَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَلَا نَطِيقُهُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَقَالَ: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَجَوَّاهُمْ، إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، مَنْ جَاءَ يَنَاجِيكَ فِي هَذَا فَاقْبَلْ مَنَاجِيَتَهُ، وَمَنْ جَاءَ يَنَاجِيكَ فِي غَيْرِ هَذَا فَاقْطَعْ أَنْتَ ذَاكَ عَنْهُ لَا تَنَاجِهِ. قَالَ: وَكَانَ الْمَنَافِقُونَ رُبَّمَا نَاجَوْا فِيمَا لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِيهِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَهْوَى عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا تَهْوَى عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ قَالَ: لِأَنَّ الْخَبِيثَ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ.

26154- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في المجادلة: إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ فَنَسَخَهَا آيَةً الَّتِي بَعْدَهَا، فَقَالَ: أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

وقوله: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ أَمَامَ مَنَاجِيَتِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ يَقُولُ: فَإِنَّ اللَّهَ ذُو عَفْوٍ عَنْ ذُنُوبِكُمْ إِذَا تَبَتُّمُ مِنْهَا، رَحِيمٌ بِكُمْ أَنْ يَعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ التَّوْبَةِ، وَغَيْرُ مُؤَاخَذِكُمْ بِمَنَاجِيَتِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجَوَاتِكُمْ إِيَّاهُ صَدَقَةً.

الآية: 13

القول في تأويل قوله تعالى: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَجَوَّاتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: أَشَقَّ عَلَيْكُمْ وَخَشِيتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجَوَاتِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَاتٍ الْفَاقَةِ، وَأَصْلُ الْإِشْفَاقِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ، وَمَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَخَشِيتُمْ

بتقديم الصدقة الفاقة والفقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.
ذكر من قال ذلك:

26155- حدثني محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد أَسْفَقْتُمْ قال: شقَّ عليكم تقديم الصدقة، فقد وُضِعَتْ عنكم، وأمروا بمناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صدقة حين شقَّ عليهم ذلك.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن شبل بن عباد المكي، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

26156- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أَسْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَرِيضَتَانِ وَاجْتَبَانِ لَا رَجْعَةَ لَأَحَدٍ فِيهِمَا، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى.

وقوله: فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ يقول تعالى ذكره: فَإِذْ لَمْ تَقْدِّمُوا بين يدي نجواكم صدقات، ورزقكم الله التوبة من ترككم ذلك، فأدّوا فرائض الله التي أوجبها عليكم، ولم يضعها عنكم من الصلاة والزكاة، وأطيعوا الله ورسوله، فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه.

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يقول جل ثناؤه: والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم، وهو محصيا عليكم ليجازيكم بها.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } .
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى القوم الذين. تولّوا قوما غضب الله عليهم، وهم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم، كما:

26157- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قال: هم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قال: هم اليهود تولاهم المنافقون.

26158- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ قال: هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود، وقرأ قول الله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَاقَوْا يَقُولُونَ إِخْوَانَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّىٰ بَلَغَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لئن كَانَ ذَلِكَ لَا يَفْعَلُونَ وقال: هؤلاء المنافقون قالوا: لا ندع حلفاءنا وموالينا يكونوا معنا لنصرتنا وعزنا، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة، فقال الله عز وجل: فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقُحِّ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّىٰ بَلَغَ: فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ وقرأ حتى بلغ: أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدْرٍ قَالَ: لا يبرزون.

قوله: مَا هُمْ مِنْكُمْ يقول تعالى ذكره: ما هؤلاء الذين تولّوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم، منكم يعني: من أهل دينكم وملتكم، ولا منهم ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم، وإنما وصفهم بذلك منكم جل ثناؤه

لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود، قالوا أنا معكم إنما نحن مستهزئون وإذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آمنا.

وقوله وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: ويخلفون على
الكذب، وذلك قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نشهد أنك لرسول
الله وهم كاذبون غير مصدقين به، ولا مؤمنين به، كما قال جل ثناؤه: وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل منهم عاتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر بلغه عنه، فحلف كذبا. ذكر الخبر
الذي روي بذلك:

26159- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة،
عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بَعَيْنَ شَيْطَانٍ، أَوْ بَعَيْنِ
شَيْطَانٍ»، قال: فدخل رجل أزرق، فقال له: «علامَ تسبني أو تشتمني؟»
قال: فجعل يحلف، قال: فنزلت هذه الآية التي في المجادلة: وَيَخْلِفُونَ عَلَى
الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ والآية الأخرى.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ} * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} .
يقول تعالى ذكره: أعد الله لهؤلاء المنافقين الذين تولوا اليهود عذابا في
الآخرة شديدا إِنَّهُمْ ما كانوا يَعْمَلُونَ في الدنيا بغشهم المسلمين. ونصحهم
لأعدائهم من اليهود.

وقوله: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً يقول جل ثناؤه: جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة
يسجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذرائعهم، وذلك
أنهم إذا اطلع منهم على النفاق، حلفوا للمؤمنين بالله إنهم لمنهم فَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يقول جل ثناؤه: فصَدُّوا بأيمانهم التي اتخذوها جنة المؤمنين
عن سبيل الله فيهم، وذلك أنهم كفرة، وحكم الله وسبيله في أهل الكفر به
من أهل الكتاب القتل، أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل، فالمنافقون
يصدّون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم إنهم مؤمنون، وإنهم منهم،
فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان
بالله.

وقوله فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ يقول: فلهم عذاب مُذِلٌّ لهم في النار.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} .

يقول تعالى ذكره: لن تغني عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم،
فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم، فينصرونهم ويستنقذونهم
من الله إذا عاقبهم أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ يقول: هؤلاء الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم، وهم المنافقون أصحاب النار، يعني أهلها الذين هم فيها
خالدون، يقول: هم في النار ما كثون إلى غير نهاية.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا
يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} .

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار، يوم يبعثهم الله جميعا، فيوم من صلة أصحاب النار. وعُني بقوله يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا من قبورهم أحياء كهيئاتهم قبل مماتهم، فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها، كما:

26160- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: فَيَخْلُقُونَ لَهُ قَالَ: إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا... الآية، والله حالف المنافقون ربهم يوم القيامة، كما حالفوا أوليائه في الدنيا.

26161- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب البكري، عن سعيد بن جُبَير، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في ظل حجرة قد كاد يَفْلُصُ عنه الظل، فقال: «إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رَجُلٌ، أَوْ يَطْلُعُ رَجُلٌ بَعَيْنِ شَيْطَانٍ فَلَا تُكَلِّمُوهُ» فلم يلبث أن جاء، فاطلع فإذا رجل أزرق، فقال له: «عَلَامَ تَسْتُمْنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟» قال: فذهب فدعا أصحابه، فحلفوا ما فعلوا، فنزلت: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلُقُونَ لَهُ كَمَا يَخْلُقُونَ لَكُمْ وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وقوله: وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ يقول: ويظنون أنهم في أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شيء من الحق، إِنْ هُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ فيما يحلفون عليه.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {أَسْتَخَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} . يعني تعالى ذكره بقوله: أَسْتَخَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ غلب عليهم الشيطان فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ يعني جنده وأتباعه أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ يقول: أَلَا إِنَّ جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون المغبونون في صَفَقَتِهِمْ.

الآية : 20-21

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَّا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} .

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده، وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26162- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يقول: يعادون الله ورسوله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، بنحوه. 26163- حدثني محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قال: يعادون. يشاقون. وقوله: أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يحادُّون الله ورسوله في أهل الذلة، لأن الغلبة لله ورسوله.

وقوله: كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي يقول: قضى الله وخطاً في أم الكتاب، لأَعْلَيْنَ أَنَا ورسلي مَنْ حَادَّنِي وشاقَّنِي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26164- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي... الآية، قال: كتب الله كتاباً وأمضاه. وقوله: إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ يقول: إن الله جل ثناؤه ذو قوّة وقدره على كل من حادّه، ورسوله أن يهلكه، ذو عِزّة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه، أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

يعني جل ثناؤه بقوله: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا تجد يا محمد قوما يصدّقون الله، ويقرّون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه ولَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ يَقُول: ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عَشِيرَتَهُمْ وإنما أخبر الله جل ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية «ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم» ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر، فلذلك تولّوا الذين تولّوهم من اليهود، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26165- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا تجد يا محمد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادّون من حادّ الله ورسوله: أي من عادي الله ورسوله.

وقوله: أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عَشِيرَتَهُمْ، كتب الله في قلوبهم الإيمان. وإنما عُنِيَ بذلك: قضى لقلوبهم الإيمان، ففي بمعنى اللام، وأخبر تعالى ذكره أنه كتب في قلوبهم الإيمان لهم، وذلك لما كان الإيمان بالقلوب، وكان معلوماً بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها، اجتزى بذكرها من ذكر أهلها.

وقوله: وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ يقول: وقوّاهم ببرّهان منه ونور وهدى وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يقول: ويدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يقول: ما كثرين فيها أبداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بطاعتهم إياه في الدنيا وَرَضُوا عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ بِإِدْخَالِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ يقول: أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ يقول: ألا إن جند الله وأولياءه هُمُ الْمُفْلِحُونَ يقول: هم الباقون الْمُتَّحُونَ بإدراكهم ما طلبوا، والتمسوا ببيعتهم في الدنيا، وطاعتهم ربهم.

سورة الحشر

مدنية
وآياتها أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى:

{سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

يعني بقوله جل ثناؤه سبح لله صلى الله وسجد له ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهو العزيز الحكيم يقول وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه الحكيم في تدبيره إياهم.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى:

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ}.

يعني تعالى ذكره بقوله: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير من ديارهم، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم، حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذرائعهم، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، ويخلو له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر، فذلك قول الله عز وجل هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26166- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عز وجل: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ قال: النضير حتى قوله وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ. ذكر ما بين ذلك كله فيهم:

26167- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ قيل: الشام، وهم بنو النضير حي من اليهود، فأجلاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر، مَرَّجَهُ مِنْ أَحَد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ قال: هم بنو النضير قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة، والحلقة: السلاح، كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسب.

26168- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ قال: هؤلاء النصير حين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

26169- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنا ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: نزلت في بني النصير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله عز وجل به من نعمته، وما سلبت عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم، فقال: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ... الآيات. وقوله: لِأَوَّلِ الْحَشْرِ يقول تعالى ذكره: لِأَوَّلِ الْجَمْعِ فِي الدُّنْيَا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26170- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قوله لِأَوَّلِ الْحَشْرِ قال: كان جلاؤهم أَوَّلَ الحشر في الدنيا إلى الشام.

26171- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: تَجِيءُ نَارٌ مِنْ مَشْرِقِ الْأَرْضِ، تَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى مَغَارِبِهَا، فَتَبِيتَ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَأْكُلُ مِنْ تَحْلِفِ.

26172- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجلى بني النصير، قال: «امضوا فَهَذَا أَوَّلُ الْحَشْرِ، وَإِنَّا عَلَى الْأَثَرِ».

26173- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لِأَوَّلِ الْحَشْرِ قال: الشام حين رُدُّهم إلى الشام، وقرأ قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مَصْدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْمِئِنَّ وُجُوهًا قَنَرُوهَا عَلَى أَذْبَارِهَا قال: من حيث جاءت، أذبارها أن رجعت إلى الشام، من حيث جاءت رُدُّوا إليه.

وقوله: مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ مِنْ دِيَارِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّمَا ظَنَّ الْقَوْمُ فِيمَا ذَكَرَ أَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَجُمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعَثُوا إِلَيْهِمْ لَمَّا حَصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالثَّبَاتِ فِي حُصُونِهِمْ، وَيَعِدُونَهُمُ النَّصْرَ، كَمَا:

26174- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، أن رهطاً من بني عوف ابن الخرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس، بعثوا إلى بني النصير أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بهم.

وقوله: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا يقول تعالى ذكره: فَأَتَاهُمْ أَمْرُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ، وَذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي أَتَاهُمْ مِنَ اللَّهِ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ بِنَزُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ فِي أَصْحَابِهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ.

وقوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ يعني جل ثناؤه بقوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بني النضير من اليهود، وأنهم يخربون مساكنهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذكر في منازلهم مما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26175- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ جعلوا يخربونها من أجوافها، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها.

26176- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: لما صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعجبهم خشبة إلا أخذوها، فكان ذلك خرابها. وقال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، وتخربها اليهود من داخلها.

26177- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: احتملوا من أموالهم، يعني بني النضير، ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، قال: فذلك قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ وذلك هدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها.

26178- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ قال: هؤلاء النضير، صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما حملت الإبل، فجعلوا يقلعوا الأوتاد يخربون بيوتهم.

وقال آخرون: إنما قيل ذلك كذلك، لأنهم كانوا يخربون بيوتهم لينبوا بنقضها ما هدم المسلمون من حصونهم. ذكر من قال ذلك:

26179- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فاعْتَبِرُوا يا أولي الأبصار قال: يعني بني النضير، جعل المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم جعلوا ينقضون بيوتهم ويخربونها، ثم يبنون ما يخرب المسلمون، فذلك هلاكهم.

26180- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ يعني أهل النضير جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم يبنون ما خرب المسلمون. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبي عمرو: يُخْرِبُونَ بتخفيف الراء، بمعنى يخرجون منها ويتركونها معطلة خراباً، وكان أبو عمرو يقرأ ذلك «يخربون» بالتشديد في الراء بمعنى يهدمون بيوتهم. وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري أنهما كانا يقرآن ذلك نحو قراءة أبي عمرو. وكان أبو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء لما ذكرت من أن الإخراب: إنما هو ترك ذلك خراباً بغير ساكن، وإن بني النضير لم يتركوا منازلهم، فیرتحلوها عنها، ولكنهم خربوها بالنقض والهدم، وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد.

وقوله: فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَاتَعظُوا يَا مَعْشَرَ ذَوِي الْأَفْهَامِ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّعْبَ، وَهُمْ فِي حُصُونِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ مَنْ وَالَاهُ، وَنَاصِرُ رُسُولِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ نَاوَاهُ، وَمَحَلٌّ مِنْ نِقْمَتِهِ بِهِ نَظِيرُ الَّذِي أَحَلَّ بَنِي النَّضِيرِ. وَإِنَّمَا عَنِ الْأَبْصَارِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَبْصَارُ الْقُلُوبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِعْتِبَارَ بِهَا يَكُونُ دُونَ الْإِبْصَارِ بِالْعْيُونِ.

الآية: 3-6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبَادَنَ اللَّهُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ * وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {

26181- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان وما أفاء الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ يعني بني النضير فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

26182- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ قال: يذكر ربهم أنه نصرهم، وكفاهم بغير كراع، ولا عدة في قريظة وخيبر، ما أفاء الله على رسوله من قريظة، جعلها لمهاجرة قريش.

26183- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قال: أمر الله عز وجل نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا رِكَاب فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا رِكَاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من ذلك خير وفدك وفترى عريية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله عز وجل عذره، فقال: ما أفاء الله على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ ثم قال: وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... الآية.

26184- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ يعني يوم قُريظة.

وقوله: وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ أعلمك أنه كما سلط محمدا صلى الله عليه وسلم على بني النضير، يخبر بذلك جل ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يُوجِفِ المسلمون بالخيول والركاب، من الأعداء مما صالحوه عليه له خاصة يعمل فيه بما يرى. يقول: فمحمدا صلى الله عليه

وسلم إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح إلا عنوة، فتقع فيها القسمة والله على كل شيء قدير يقول: والله على كل شيء أراده ذو قدرة لا يعجزه شيء، وبقدرته على ما يشاء سلط نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما سلط عليه من أموال بني النضير، فحازه عليهم.

الآية: 7

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

يعني بقوله جل ثناؤه: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الذي ردّ الله عز وجل على رسوله من أموال مشركي القرى.

واختلف أهل العلم في الذي عني بهذه الآية من الألوان، فقال بعضهم: عني بذلك الجزية والخراج. ذكر من قال ذلك:

26185- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ حَتَّىٰ بَلَغَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لَهُوْلَاءُ، ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ... الآية، ثم قال: هَذِهِ الْآيَةُ لَهُوْلَاءُ، ثُمَّ قَرَأَ: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى حَتَّىٰ بَلَغَ الْفُقَرَاءِ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ قَالَ: اسْتَوْعَبَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْمُسْلِمِينَ عَامَةً، فَلَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا لَهُ حَقٌّ، ثُمَّ قَالَ: لَنْ عِشْتَ لِیَاتَيْنِ الرَّاعِي وَهُوَ يَسِيرُ حُمُرَهُ نَصِيئُهُ، لَمْ يَعْزِقْ فِيهَا جَبِينُهُ.

26186- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، قال: حدثنا معمر في قوله: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغني أنها الجزية، والخراج: خراج أهل القرى.

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عنوة. ذكر من قال ذلك:

26187- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ما يوجب عليه المسلمون بالخيال والركاب، وفتح بالحرب عنوة، لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه.

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي أوجب عليها المسلمون بالخيال والركاب، وأخذت بالغلبة، وقالوا كانت الغنائم في بدو الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله في هذه الآيات دون المرجفين عليها، ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة الأنفال. ذكر من قال ذلك:

26188- حدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال: كان الفيء في هؤلاء، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال، فقال: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال، وجعل الخمس لمن كان له الفية في سورة الحشر، وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس، فخمس لله وللرسول، وخمس لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين: سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسهم قرابته، فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: عني بذلك: ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم، وقالوا قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قليلة وللرسول... الآيات، بيان قسيم المال الذي ذكره الله في الآية التي قبل هذه الآية، وذلك قوله: ما أفاء الله على رسوله منهم فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وهذا قول كان يقوله بعض المتفقهة من المتأخرين. والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها، وذلك أن الآية التي قبلها مال جعله الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره، لم يجعل فيه لأحد نصيبا، وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

26189- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: أرسل إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخلت عليه، فقال: إنه قد حضر أهل أبيات من قومك وأنا قد أمرنا لهم برضخ، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري، قال: اقبضه أيها المرء فيينا أنا كذلك، إذ جاء يرفاً مولاه، فقال: عبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان، وسعد يستأذنون، فقال: ائذن لهم ثم مكث ساعة، ثم جاء فقال: هذا علي والعباس يستأذنان، فقال: ائذن لهما فلما دخل العباس قال: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الغادر الخائن الفاجر، وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بني النضير، فقال القوم: اقض بينهما يا أمير المؤمنين، وأرح كل واحد منهما من صاحبه، فقد طالت خصومتها، فقال: أنشدكم الله الذي يآذنه تقوم السموات والأرض، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُورَثْ ما تَرَكَتَاهُ صَدَقَةٌ» قالوا: قد قال ذلك ثم قال لهما: أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: فساخبركم بهذا الفية إن الله خص نبيه صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعطه غيره، فقال: وما أفاء الله على رسوله منهم فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فوالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها دونكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منه سنتهم، ثم يجعل ما بقي في مال الله.

فإذا كانت هذه الآية التي قبلها مضت، وذكر المال الذي خص الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يجعل لأحد معه شيئاً، وكانت هذه الآية خبراً عن المال الذي جعله الله لأصناف شتى، كان معلوماً بذلك أن المال الذي جعله لأصناف من خلقه غير المال الذي جعله للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، ولم يجعل له شريكاً.

وقوله: وَلِذِي الْقُرْبَى يَقُولُ: وَلِذِي قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
من بني هاشم وبني المطلب واليتامى، وهم أهل الحاجة من أطفال
المسلمين الذين لا مال لهم والمساكين: وهم الجامعون فاقة وذُلَّ المسئلة
وابن السبيل: وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية الله عزَّ
وجل.

وقد ذكرنا الرواية التي جاءت عن أهل التأويل بتأويل ذلك فيما مضى من
كتابنا.

وقوله: كَيْلًا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ. وجعلنا ما أفاء
الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف، كيلا يكون ذلك الفيء دولة
يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة
في أبواب البرِّ وسُبُل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننا فيه سنة
لا تُغَيَّر ولا تُبَدَّل.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى أبي
جعفر القاريء كَيْلًا يَكُونُ دَوْلَةً نصبا على ما وصفت من المعنى، وأن في
يكون ذكر الفيء. وقوله: دَوْلَةً نصب خبر يكون، وقر ذلك أبو جعفر
القاريء: «كَيْلًا يَكُونُ دَوْلَةً» على رفع الدولة مرفوعة بـيكون، والخبر قوله:
بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وبضم الدال من دَوْلَةٍ قرأ جميع قراء الأمصار، غير أنه
حكى عن أبي عبد الرحمن الفتح فيها.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك، إذا ضمت الدال أو
فُتحت، فقال بعض الكوفيين: معنى ذلك: إذا فتحت الدولة وتكون للجيش
يهزم هذا هذا، ثم يهزم الهازم، فيقال: قد رجعت الدولة على هؤلاء قال:
والدولة برفع الدال في الملك والسنين التي تغير وتبدل على الدهر، فتلك
الدولة والدول. وقال بعضهم: فرق ما بين الضم والفتح أن الدولة: هي اسم
الشيء الذي يتداول بعينه، والدولة الفعل.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك: كَيْلًا يَكُونُ بِالْيَاءِ دَوْلَةً بضم الدال
ونصب الدولة على المعنى الذي ذكرت في ذلك لإجماع الحجة عليه،
والفرق بين الدَّولة والدَوْلَة بضم الدال وفتحها ما ذكرت عن الكوفي في
ذلك.

وقوله: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ يَقُولُ تعالى ذكره: وَمَا أَعْطَاكُمُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا أَفَاءَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ مِنَ الْغُلُولِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ فَاتَّهَوْا وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ نَحْوُ
قَوْلِنَا فِي ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُوْجِهْ مَعْنَى قَوْلِهِ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ إِلَى
مَا آتَاكُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ. ذكر من قال ذلك:

26190- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن
الحسن، في قوله: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّهَوْا قال:
يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول.

وقوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ يَقُولُ: وخافوا الله، واحذروا عقابه في خلافكم على
رسوله بالتقدم على ما نهاكم عنه، ومعصيتكم إياه إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
يقول: إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ عِقَابِهِ لِمَنْ عَاقَبَهُ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القول في تأويل قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ قَصْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}.

يقول تعالى ذكره: كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم، ولكن يكون للفقراء المهاجرين، وقيل: غني بالمهاجرين: مهاجرة قريش. ذكر من قال ذلك:

26191- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ما أفاء الله على رسوله من قريضة جعلها لمهاجرة قريش.

26192- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَيْر، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالوا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهما في الزكاة.

26193- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ... إلى قوله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها.

وقوله: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وقوله: يَبْتَغُونَ قَصْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا موضع يبتغون نصب، لأنه في موضع الحال وقوله: وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يقول: وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم. وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ يقول: هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ قَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ يقول: اتخذوا المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فابتنوها منازل، وَالْإِيمَانَ بالله ورسوله مِنْ قَبْلِهِمْ يعني: من قبل المهاجرين، يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ: يحبون من ترك منزله، وانتقل إليهم من غيرهم، وَغْنِي بِذَلِكَ الْأَنْصَارَ يحبون المهاجرين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26194- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ قال: الأنصار نعت. قال محمد بن عمرو: سفاطة أنفسهم. وقال الحارث: سخاوة أنفسهم عند ما روى عنهم من ذلك، وإيثارهم إياهم ولم يصب الأنصار من ذلك الفياء شيء.

26195- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا يَقُولُ: مما أعطوا إخوانهم هذا الحي من الأنصار، أسلموا في ديارهم، فابتنوا المساجد والمسجد، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك وهاتان الطائفتان الأولتان من هذه الآية، أخذتا بفضلهما، ومضتا على مهلهما، وأثبت الله حظهما في الفيء.

26196- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله الله عز وجل: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ قال: هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين. وقوله: وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا يقول جل ثناؤه: ولا يجد الذين تبوءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار في صدورهم حاجة، يعني حسدا مما أوتوا، يعني مما أوتي المهاجرين من الفيء، وذلك لما ذكر لنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا رجلين من الأنصار، أعطاهما لفقرهما، وإنما فعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26197- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حَدَّثَ أَنَّ بني النضير خَلَّوْا الْأَمْوَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَتْ النُّضِيرُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دُجَانَةَ سِمْكَ بن حَرْشَةَ ذَكَرَا فَقَرَا، فَأَعْطَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

26198- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا المهاجرون. قال، وتكلم في ذلك يعني أموال بني النضير بعض من تكلم من الأنصار، فعاتبهم الله عز وجل في ذلك فقال: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: «إِنَّ إِيَّانَا بَيْنَهُمْ قَدْ تَرَكَوا الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ وَخَرَجُوا إِلَيْكُمْ» فقالوا: أموالنا بينهم قطائع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ الْعَمَلَ فَتَكْفُونَهُمْ وَتُقَاسِمُونَهُمُ التَّمَرَ»، فقالوا: نعم يا رسول الله.

ونحو الذي قلنا في قوله وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26199- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا سليمان أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا قال: الحسد.

قال: ثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن حاجة في صدورهم قال: حسدا في صدورهم.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: أخبرنا أبو رجاء عن الحسن، مثله.

وقوله: وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُ: وهو يصف الأنصار الذين تَبَوَّءُوا الدارَ وَالْإِيمَانَ من قبل الْمُهَاجِرِينَ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ يَقُولُ: ويعطون المهاجرين أموالهم إيثارا لهم بها على أنفسهم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ يَقُولُ: ولو كان بهم حاجة وفاقية إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم. وَالْخَصَاصَةُ مصدر، وهي أيضا اسم، وهو كل ما تخللته ببصرك كالكوة والفرجة في الحائط، تجمع خصاصات وخصاص، كمال قال الراجز: قَدْ عَلِمَ الْمَقَاتِلَاتُ هَجَا
وَالنَّاطِرَاتُ مِنْ خَصَاصٍ لَمَجَا
لَأُورِيَتْهَا دُلْجَا أَوْ مُنْجَا

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26200- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليضيفه، فلم يكن عنده ما يضيفه، فقال: «ألا رجل يضيف هذا رجمة الله؟» فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، نؤمي الصبية، وأطفئي المصباح وأريه بأنك تأكلين معه واتركيه لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت فنزلت وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.
حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن فضيل، عن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف، فلم يكن عند إلاقته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: تؤمي الصبية وأطفئي المصباح، وقربي للضيف ما عندك، قال: فنزلت هذه الآية وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ.
يقول تعالى ذكره: من وقاه الله شح نفسه فأولئك هم المفلحون المخلدون في الجنة. والشح في كلام العرب: البخل، ومنع الفضل من المال ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تَرَى اللَّحْرَ الشَّحِيحَ إِذَا امْرُئَعْلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِنَا
يعني بالشحيح: البخل، يقال: إنه لشحيح بين الشح والشح، وفيه شحة شديدة وشحاحة. وأما العلماء فإنهم يرون أن الشح في هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حق.

26201- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا المسعودي، عن أشعث، عن أبي الشعثاء، عن أبيه، قال: أتى رجل ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ وَأَنَا رَجُلٌ شَحِيحٌ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ يَدَيَّ شَيْءٌ، قال: ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، ذلك البخل، وبئس الشيء البخل.

26202- حدثني يحيى بن إبراهيم، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن جامع، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود، فقال يا أبا عبد الرحمن، إني أخشى أن تكون أصابتني هذه الآية وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ والله ما أعطي شيئاً أستطيع منعه، قال: ليس ذلك بالشح، إنما الشح أن تأكل مال أخيك بغير حقه، ولكن ذلك البخل.

26203- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن أبي الهياج

الأسدي، قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئاً، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف.
26204- حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري، عن عمه يزيد بن جارية الأنصاري، عن أنس بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَرَاءٌ مِنَ الشَّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ، وَفَرَى الصَّيْفَ، وَأَعْطَى فِي النَّائِبَةِ».

26205- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا زياد بن يونس أبو سلامة، عن نافع بن عمر المكي، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمر، قال: إن نجوت من ثلاث طمعت أن أنجو. قال عبد الله بن صفوان ما هنّ أنبيك فيهنّ، قال: أخرج المال العظيم، فأخرجه ضراراً، ثم أقول: أقرض ربي هذه الليلة، ثم تعود نفسي فيه حتى أعيده من حيث أخرجته، وإن نجوت من شأن عثمان، قال ابن صفوان: أما عثمان فقتل يوم قتل، وأنت تحبّ قتله وترضاه، فأنت ممن قتله وأما أنت فرجل لم يقك الله شح نفسك، قال: صدقت.

26206- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ قَالَ: مَنْ وَقَى شُحَّ نَفْسِهِ فَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ الْحَرَامِ شَيْئاً، ولم يقربه، ولم يدعه الشح أن يحبس من الحلال شيئاً، فهو من المفلحين، كما قال الله عز وجل.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ قَالَ: مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئاً لَشَيْءٍ نَهَاها الله عز وجل عنه، ولم يدعه الشح على أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله به، فقد وقاه الله شح نفسه، فهو من المفلحين.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: والذين جاءوا من بعد الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين الأولين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان من الأنصار. وعنى بالذين جاءوا من بعدهم المهاجرون أنهم يستغفرون لإخوانهم من الأنصار.

وقوله: وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا يعني غمراً وضعنا. وقيل: عني بالذين جاءوا من بعدهم: الذين أسلموا من بعد الذين تبوءوا الدار. ذكر من قال ذلك:

26207- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ قَالَ: الذين أسلموا نعتوا أيضاً.

26208- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثم ذكر الله الطائفة الثالثة، فقال: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

أَعْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا حَتَّى بَلَغَ إِلَيْكَ رَحِيمٌ إِنَّمَا أَمْرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِسَبِّهِمْ.

وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ غَلَامًا لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ جَاءَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ فِي حَيِّ النَّارِ، قَالَ: «كَذِبْتَ إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَّةَ» وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَغْلَظَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُذَرِّكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّهُ قَدْ شَهِدَ مَشْهَدًا أَطْلَعَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَشْهَدَ مَلَائِكَتُهُ إِنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ، فَلْيَعْلَمُوا مَا شَاءُوا» فَمَا زَالَ بَعْضُنَا مَنْقَبُضًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، هَائِبًا لَهُمْ، وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: وَإِلَى أَهْلِ بَدْرٍ تَهَالِكُ الْمُتَهَالِكُونَ، وَهَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الثَّنَاءَ.

26209- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا قَالَ: لَا تَوْرَثُ قُلُوبُنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ.

26210- حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مَسْلَمٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ الْإِنْسَاءُ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلٍ: الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ يَقُولُ جُلُّ ثَنَاؤُهُ مَخْبَرًا عَنْ قِيلِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِ الَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بَكَ يَا رَبَّنَا.

قَوْلُهُ: إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ يَقُولُ: إِنَّكَ ذُو رَأْفَةٍ بِخَلْقِكَ، وَذُو رَحْمَةٍ بِمَنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْ ذُنُوبِهِ.

الآية : 11

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }.

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَمْ تَنْظُرْ بَعَيْنَ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَنْجٍ، وَوَدِيعَةُ، وَمَالِكُ ابْنِ نَوْفَلٍ وَسُوَيْدٌ وَدَاعِسُ بْنُ أَبِي النَّضِيرِ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَرْبِ أَنْ أَثْبَتُوا وَتَمَتَّعُوا، فَإِنَّا لَنَنْصُرُكُمْ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ خَرَجْتُمْ، خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا لِذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْلِيَهُمْ، وَيَكْفِ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحَلَقَةُ.

26211- حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي ذَلِكَ مَا:

26212- حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَنْجٍ، وَرَفَاعَةُ أَوْ رَافِعَةُ بْنُ تَابُوتَ. وَقَالَ الْحَارِثُ: رَفَاعَةُ بْنُ تَابُوتَ، وَلَمْ يَشْكُ فِيهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَبْتَلٍ، وَأَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ.

26213- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ وَأَصْحَابُهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِمْ. وقوله: يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ، كَمَا:

26214- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْنِي: بَنِي النَّضِيرِ. وقوله: لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ يَقُولُ: لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَمَنَازِلِكُمْ، وَأَجَلَيْتُمْ عَنْهَا لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ، فَتُجْلَى عَنْ مَنَازِلِنَا وَدِيَارِنَا مَعَكُمْ. وقوله: وَلَا تُطِيعُ فِئَكُمُ أَحَدًا أَبَدًا يَقُولُ: وَلَا نَطِيعُ أَحَدًا سَأَلْنَا خِذْلَانَكُمْ، وَتَرَكَ نَصْرَتَكُمْ، وَلَكِنَّا نَكُونُ مَعَكُمْ وَلَئِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ يَقُولُ: وَإِنْ قَاتَلَكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ لَنَنْصُرَنَّكُمْ مَعِشَرَ النَّضِيرِ عَلَيْهِمْ. وقوله: وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ يَقُولُ: وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَعَدُوا بَنِي النَّضِيرِ النَّصْرَةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَاذِبُونَ فِي وَعْدِهِمْ إِيَّاهُمْ مَا وَعَدُوهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ بَصُرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ} . يقول تعالى ذكره: لَئِنْ أَخْرَجَ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ، فَأَجْلَوْا عَنْهَا لَا يَخْرُجُ مَعَهُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَعَدُوهُمْ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَلَئِنْ قَاتَلَهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْصُرُهُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ وَعَدُوهُمْ النَّصْرَ، وَلَئِنْ نَصَرَ الْمُنَافِقُونَ بَنِي النَّضِيرِ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَارَ مِنْهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ هَارِبِينَ مِنْهُمْ، قَدْ خَذَلُوهُمْ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ يَقُولُ: ثُمَّ لَا يَنْصُرُ اللَّهُ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ بَلْ يَخْذِلُهُمْ.

الآية : 13-14

القول في تأويل قوله تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَأَنْتُمْ أَهْلُ الْيُودِ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ اللَّهِ: يَقُولُ: هُمْ يَرْهَبُونَهُمْ أَشَدَّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ يقول تعالى ذكره: هَذِهِ الرَّهْبَةُ الَّتِي لَكُمْ فِي صُدُورِ الْيَهُودِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ، قَدَرُ عَظَمَةِ اللَّهِ، فَهَمُ لَذَلِكَ يَسْتَخَفُّونَ بِمَعَاصِيهِ، وَلَا يَرْهَبُونَ عِقَابَهُ قَدَرُ رَهْبَتِهِ مِنْكُمْ. وقوله: لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرَى مُحَصَّنَةٍ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: لَا يُقَاتِلُكُمْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ مُجْتَمِعِينَ إِلَّا فِي قَرَى مُحَصَّنَةٍ بِالْحَصُونِ، لَا يَبْرَزُونَ لَكُمْ بِالْبَرَارِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ يَقُولُ: أَوْ مِنْ خَلْفِ حِيطَانٍ.

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة والمدينة أو من وراء جُدْر على الجماع بمعنى الحيطان. وقرأه بعض قراء مكة والبصرة: «من وراء جدار» على التوحيد بمعنى الحائط.

والصواب من القول عندي في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: بِأَسْهُمَ بَيَّتَهُمْ شَدِيدٌ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضا شديدة تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى يَقُولُ: وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا.

وقوله: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين، وذلك تشتيت أهوائهم، ومعاداة بعضهم بعضا من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26215- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، قوله: لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدْرٍ بِأَسْهُمَ بَيَّتَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ قَالَ: تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.

26216- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى قَالَ: المنافقون يخالف دينهم دين النصير.

26217- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى قَالَ: هم المنافقون وأهل الكتاب.

26218- قال: ثنا مهران، عن سفيان، مثل ذلك.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن خفيف، عن مجاهد تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى قَالَ: المشركون وأهل الكتاب.

وذكر أنها في قراءة عبد الله: وَقُلُوبُهُمْ أَشْتَّى» بمعنى: أشد تشتتا: أي أشد اختلافًا.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: { كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء اليهود من بني النصير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَقُولُ: كشبههم.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالذين من قبلهم، فقال بعضهم: عني بذلك بنو قَيْنُقَاع. ذكر من قال ذلك:

26219- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قوله كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَعْنِي بَنِي قَيْنُقَاع. وقال آخرون: عني بذلك مشركو قريش ببدر. ذكر من قال ذلك:

26220- حدثني محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ قال: كفار قريش.

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله عز وجل مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذبذبهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذبي رسوله صلى الله عليه وسلم، الذين أهلكهم بسخطه، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر، كانا قبل جلاء بني النضير، وكل أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخص الله عز وجل منهم بعضا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكل ذائق وبال أمره، فمن قربت مدته منهم قبلهم، فهم ممثلون بهم فيما عُتُوا به من المثل.

وقوله: ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ يقول: نالهم عقاب الله على كفرهم به. وقوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم في الآخرة مع ما نالهم في الدنيا من الخزي عذاب أليم، يعني: موجه.

وقوله: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النصيرة النصر، إن قوتلوا، أو الخروج معهم إن أخرجوا، ومثل النضير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد، وإسلامهم إياهم عند شدة حاجتهم إليهم، وإلى نُصرتهم إياهم، كمثّل الشيطان الذي غرّ إंसانا، ووعدته على اتباعه وكفره بالله، النصر عند الحاجة إليه، فكفر بالله وابتعه وأطاعه، فلما احتاج إلى نُصرته أسلمه وتبرأ منه، وقال له: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ في نُصرتك.

وقد اختلف أهل التأويل في الإنسان الذي قال الله جل ثناؤه إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ هو إنسان بعينه، أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به، فقال بعضهم: غُني بذلك إنسان بعينه. ذكر من قال ذلك:

26221- حدثنا خلاد بن أسلم، قال: حدثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبد الله بن نهيك، قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: إن راهبا تعبد ستين سنة، وإن الشيطان أُراده فأعياه، فعمد إلى امرأة فاجنّها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القسّ فيداويها، فجاؤا بها، قال: فداواها، وكانت عنده، فبينما هو يوما عندها إذ أعجبتّه، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، إنك أعيتني، أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعت بك، اسجد لي سجدة، فسجد له فلما سجد له قال: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فذلك قوله: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

26222- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن زيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان، فقال له اقتلها ثم ادفعها، فإنك رجل مصدق يسمع كلامك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في

المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا، بل قصها علينا قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا: فما هذا إلا لشيء، فانطلقوا فاستعدوا مَلِكُهُمْ على ذلك الراهب، فَأَتَوْه فَأَنزَلُوهُ، ثم انطلقوا به، فلقبه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فأسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوقعتك فيه قال: فسجد له فلما أَتَوْا به ملكهم تبرأ منه، وأخذ فقتل.

26223_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ... إِلَى وَدَلَكْ جزاءُ الظَّالِمِينَ قال عبد الله بن عباس: كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يُؤْتَى من كل أرض فيُسْتَل عن الفقه، وكان عالما، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس، وإنهم أرادوا أن يسافروا، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة، فجعلوا ياتَمرون ما يفعلون بها فقال أحدهم: أدلكم على من تتركونها عنده؟ قالوا: من هو؟ قال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها. وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه فعمدوا إليه فقالوا: إنا نريد السفر، ولا نجد أحدا أوثق في أنفسنا، ولا أحفظ لما وُلِّيَ منك لما جعل عندك، فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك فإنها ضائعة شديدة الوجد، فإن ماتت فقم عليها، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى بَرَّت، وعاد إليها حسننها، فاطلع إليها فوجدها متصنعة، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها، فحملت، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها قال: إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد، فلم يكن لك معذرة، فلم يزل به حتى قتلها، فلما قدم إختها سألوه ما فعلت؟ قال: ماتت فدفنتها، قالوا: قد أحسنت، ثم جعلوا يرون في المنام، ويخبرون أن الراهب هو قتلها، وأنها تحت شجرة كذا وكذا، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال له الشيطان: أنا زينت لك الزنا وقتلها بعد الزنا، فهل لك أن أنجيك؟ قال: نعم، قال: أفتطيعني؟ قال: نعم قال: فأسجد لي سجدة واحدة، فسجد له ثم قتل، فذلك قوله كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ الْآيَة.

26224_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: كان رجل من بني إسرائيل عابدا، وكان ربما داوى المجانين، فكانت امرأة جميلة، فأخذها الجنون، فجيء بها إليه، فتركت عنده، فأعجبه، فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: إن علم بهذا افتضحت، فاقتلها وادفنها في بيتك، فقتلها ودفنها، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه، فقال: ماتت، فلم يتهموه لصلاحه فيهم، فجاءهم الشيطان فقال: إنها لم تمت، ولكنه وقع عليها فقتلها ودفنها في بيته في مكان كذا وكذا، فجاء أهلها، فقالوا: ما نتهمك، فأخبرنا أين دفنتها، ومن كان معك، فوجدوها حيث دفنها، فأخذ وسجن، فجاءه الشيطان فقال: إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فتخرج منه، فاكفر بالله، فأطاع الشيطان، وكفر بالله، فأخذ وقتل، ف تبرأ الشيطان منه حينئذ. قال: فما أعلم هذه الآية إلا نزلت فيه

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وقال آخرون: بل غُني بذلك الناس كلهم، وقالوا: إنما هذا مثل صُرب للنضير في غرور المنافقين إياهم. ذكر من قال ذلك: 26225- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ غَاثَةً النَّاسِ.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: فكان عُقبى أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه، فكفر بالله أنهما خالداً في النار ما كانا فيها أبداً وذلك جزاء الظالمين يقول: وذلك ثواب اليهود من النضير والمنافقين الذين وعدوهم النصر، وكل كافر بالله ظالم لنفسه على كفره به أنهم في النار مخلدون.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: خَالِدِينَ فيها فقال بعض نحوي البصرة: نصب على الحال، وفي النار خبر قال: ولو كان في الكلام لكان الرفع أجود في «خالدين» قال: وليس قولهم: إذا جئت مرتين فهو نصب لشيء، إنما فيها تأكيد جئت بها أو لم تجيء بها فهو سواء، إلا أن العرب كثيراً ما تجعله حالاً إذا كان فيها للتوكيد وما أشبهه في غير مكان قال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا. وقال بعض نحوي الكوفة: في قراءة عبد الله بن مسعود: «فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِي النَّارِ» قال: وفي أنهما في النار خالدين فيها نصب قال: ولا أشتبه الرفع وإن كان يجوز، فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداها على موضع الأخرى نصبت، فهذا من ذلك قال: ومثله في الكلام قولك: مررت برجل على نأيه متحملاً به ومثله قول الشاعر:

وَالزُّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرْقاً يَهُ الْبَاتُ وَالنَّحْرُ

لأن الترائب هي اللبات ها هنا، فعادت الصفة باسمها الذي وقعت عليه، فإذا اختلفت الصفتان جاز الرفع والنصب على حُسْن، من ذلك قولك: عبد الله في الدار راغب فيك، ألا ترى أن «في» التي في الدار مخالفة لفي التي تكون في الرغبة قال: والحجة ما يُعرف به النصف من الرفع أن لا ترى الصفة الآخرة تتقدم قبل الأولى ألا ترى أنك تقول: هذا أخوك في يده درهم قابضاً عليه، فلو قلت: هذا أخوك قابضاً عليه في يده درهم لم يجز، إلا ترى أنك تقول: هذا رجل قائم إلى زيد في يده درهم، فهذا يدل على أن المنصوب إذا امتنع تقديم الآخر، ويدل على الرفع إذا سهل تقديم الآخر. وقوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ يقول تعالى ذكره: يا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا

الله ووجدوه، اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

وقوله وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ يقول: ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال، أمن الصالحات التي تنجي أم من السيئات التي توبقه؟. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26226- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**: ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد، وغدٌ يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ يعني يوم القيامة.

26227- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ يعني يوم القيامة.

26228- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ قول الله عز وجل **وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** يعني يوم القيامة الخير والشر قال: والأمس في الدنيا، وغدٌ في الآخرة، وقرأ: **كَأَن لَّمْ تَعَنَّ بِالْأَمْسِ** قال: كأن لم تكن في الدنيا.

وقوله: **وَاتَّقُوا اللَّهَ** يقول: وخافوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه إنَّ الله خَيْرٌ بِمَا تَعْلَمُونَ يقول: إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرها وشرها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم فأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ يقول: فأَنسَاهُمْ الله حظوظ أنفسهم من الخيرات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26229- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان تَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ قال: تَسُوا حق الله، فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ قال: حظ أنفسهم. وقوله: **أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين نسوا الله، هم الفاسقون، يعني الخارجون من طاعة الله إلى معصيته.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}.

يقول تعالى ذكره: لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة، أهل الجنة هم الفائزون، يعني أنهم المُدْرِكُونَ ما طلبوا وأرادوا، الناجون مما حذروا.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

وقوله: **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيناه يا محمد خاشعاً يقول: متذلاً، متصدعاً من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدِّي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل علي ابن آدم وهو بحقه مستخفٌ، وعنه، عما فيه من العبر والذكر، مُعْرَضٌ، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26230_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ... إلى قوله: لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ قال: يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله عز وجل الناس إذا نزل عليهم القرآن، أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، قال: كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.

26231_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ... الآية، يعذر الله الجبل الأصم، ولم يعذر شقيي ابن آدم، هل رأيتم أحدا قط تصدعت جوانحه من خشية الله؟.

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبَهَا لِلنَّاسِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وهذه الأشياء نشبهها للناس، وذلك تعريفة جل ثناؤه إياهم أن الجبال أشد تعظيما لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها.

وقوله: لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينبوا، وينقادوا للحق.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}.

يقول تعالى ذكره: الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس، هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والألوهية إلا له، عالم غيب السموات والأرض، وشاهد ما فيهما مما يري ويحس هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ يقول: هو رحمن الدنيا والآخرة، رحيم بأهل الإيمان به.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

يقول تعالى ذكره: هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه، القدوس، قيل: هو المبارك. وقد بينت فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهد، وذكرت اختلاف المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته. ذكر من قال: غُني به المبارك:

26232_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة القدوس: أي المبارك.

وقوله: السَّلامُ يقول: هو الذي يسلم خلقه من ظلمه، وهو اسم من أسمائه، كما:

26233_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة السَّلام: الله السَّلام.

26234_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عبيد الله، يعني العتكي، عن جابر بن زيد قوله: السَّلامُ قال: هو الله.

وقد ذكرت الرواية فيما مضى، وبيَّنت معناه بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته. وقوله: الْمُؤْمِنُ يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

- 26235- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة المُوَءَمِّنُ أَمِنَ بقوله أنه حقّ.
- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة المُوَءَمِّنُ أَمِنَ بقوله أنه حقّ.
- 26236- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن جُوَير عن الضحاك المُوَءَمِّنُ قال: المصدق.
- 26237- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله المُوَءَمِّنُ قال: المؤمن: المصدق الموقن، أَمِنَ الناسَ برهيم فسماهم مؤمنين، وأَمِنَ الرَّبُّ الكريمَ لهم بإيمانهم صدّقهم أن يسمى بذلك الاسم. وقوله: المُهَيِّمُ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: المهيم: الشهيد. ذكر من قال ذلك:
- 26238- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: المُهَيِّمُ قال: الشهيد، وقال مرة أخرى: الأمين.
- 26239- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: المُهَيِّمُ قال: الشهيد.
- 26240- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: المُهَيِّمُ قال: أنزل الله عزّ وجلّ كتاباً فشهد عليه.
- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة المُهَيِّمُ قال: الشهيد عليه.
- وقال آخرون: المهيم: الأمين. ذكر من قال ذلك:
- 26241- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن جُوَير، عن الضحاك المُوَءَمِّنُ: الأمين.
- وقال آخرون: المُهَيِّمُ: المصدق. ذكر من قال ذلك:
- 26242- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: المُهَيِّمُ قال: المصدق لكلّ ما حدّث، وقرأ: وَمُهَيِّمِنَا عَلَيْهِ قال: فالقرآن مصدّق على ما قبله من الكتب، والله مصدّق في كلّ ما حدّث عما مضى من الدنيا، وما بقي، وما حدّث عن الآخرة.
- وقد بيّنت أولى هذه الأقوال بالصواب فيما مضى قبل في سورة المائدة بالعلل الدالة على صحته، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.
- وقوله: العَزِيزُ: الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه، كما:
- 26243- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة العَزِيزُ أي في نعمته إذا انتقم.
- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة العَزِيزُ في نعمته إذا انتقم. وقوله: الجَبَّارُ يعني: المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره.
- 26244- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة الجَبَّارُ قال: جَبَرَ خلقه على ما يشاء.
- وقوله: الْمُتَكَبِّرُ قيل: عُني به أنه تكبر عن كلّ شرّ. ذكر من قال ذلك:
- 26245- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة الْمُتَكَبِّرُ قال: تكبر عن كلّ شرّ.
- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

26246- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أبو رجاء، قال: ثني رجل، عن جابر بن زيد، قال: إن اسم الله الأعظم هو الله، ألم تسمع يقول: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤَمِّنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ يقول: تنزيها لله وتبرئة له عن شرك المشركين به.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلى له العبادة غيره، ولا خالق سواه، الباري الذي برأ الخلق، فأوجدتهم بقدرته، المصور خلقه كيف شاء، وكيف يشاء. وقوله: لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يقول تعالى ذكره: لله الأسماء الحسنى، وهي هذه الأسماء التي سمى الله بها نفسه، التي ذكرها في هاتين الآيتين يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول: يسبح له جميع ما في السموات والأرض، ويسجد له طوعا وكرها وَهُوَ الْعَزِيزُ يَقُول: وهو الشديد الانتقام من أعدائه الْحَكِيمُ في تدبيره خلقه، وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

سورة الممتحنة

مدنية

وآياتها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْصَاتِي تُسِِّرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}.

قال أبو جعفر: يقول: تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ يعني أنصارا.

وقوله: تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ يقول جل ثناؤه: تلقون إليهم مودتكم إياه. ودخول الباء في قوله: بِالْمَوَدَّةِ وسقوطها سواء، نظير قول القائل: أريد بأن تذهب، وأريد أن تذهب سواء، وكقوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ وَالْمَعْنَى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم ومن ذلك قول الشاعر: قَلَمَّا رَجَتْ بِالشَّرْبِ هَرَّ لَهَا الْعَصَاشِحِيُّ لَهُ عِنْدَ الْإِرَاءِ تَهِيمٌ

بمعنى: فلما رجت الشرب.

وقد كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يقول: وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحق، وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله على رسوله.

وقوله: يَخْرُجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يخرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياكم، بمعنى: ويخرجونكم أيضا من دياركم وأرضكم، وذلك مشركي قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة.

وقوله: أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يخرجون الرسول وإياكم من دياركم، لأن أمنتكم بالله.

وقوله: إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي معناه التقديم، ووجه الكلام: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي يخرجون الرسول وإياكم أَنْ تُمْنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ. ويعني بقوله تعالى ذكره: إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي: إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، فَهَاجَرْتُمْ مِنْهَا إِلَى مَهَاجَرِكُمْ لِلْجِهَادِ فِي طَرِيقِي الَّذِي شرعته لكم، ودينني الذي أمرتكم به. والتماس مرضاتي.

وقوله: تُسَيِّرُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمَوَدَّةِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُسَيِّرُونَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالْمَوَدَّةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْقَيْتُمْ يَقُولُ: وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَخْفَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَأَسِرْهُ مِنْهُ وَمَا أَعْلَنْتُمْ يَقُولُ: وَأَعْلَمُ أَيْضًا مِنْكُمْ مَا أَعْلَنَهُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلَ اللَّهِ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَنْ يَسِرَّ مِنْكُمْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْمَوَدَّةِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَقَدْ ضَلَّ: يَقُولُ: فَقَدْ جَارَ عَنْ قِصْدِ السَّبِيلِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَحْجَةً إِلَيْهَا.

وذكر أن هذه الآيات من أول هذه السورة نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وكان كتب إلى قريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفاه عنهم، وبذلك جاءت الآثار والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم. ذكر من قال ذلك:

26247- حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، والفضل بن الصباح قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد بن علي، أخبرني عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير بن العوام والمقداد قال الفضل قال سفيان: نفر من المهاجرين فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها» فانطلقنا تتعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فوجدنا امرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ليس معي كتاب، قلنا: لتخرجي الكتاب، أو لنلقي الثياب، فأخرجته من عقاصها، وأخذنا الكتاب فانطلقنا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل علي كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم يكن لي فيهم قرابة، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ فيها يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ صَدَقَكُمُ» فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَذْرًا، وَمَا يُذَرِّكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَذْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَقَرْتُ

لَكُمْ» زاد الفضل في حديثه، قال سفيان: ونزلت فيه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ... إلى قوله حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان، عن عمرو بن مَرْة الجملي، عن أبي البخري الطائي، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه قال: لما أَرَدَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ مَكَةَ، أَسْرَّ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ يَرِيدُ مَكَةَ. فَيَهْمُ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَأَفْشَى فِي النَّاسِ أَنَّهُ يَرِيدُ خَيْبَرَ، فَكَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُكُمْ، قَالَ: فَبَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا مَرْثِدَ وَلَيْسَ مِنْهُ رَجُلٌ إِلَّا وَعِنْدَهُ فَرَسٌ، فَقَالَ: انْتُوا رَوْصَةَ خَاحٍ، فَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِهَا امْرَأَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ، فَخَذُوهُ مِنْهَا فَانْطَلَقْنَا حَتَّى رَأَيْنَاهَا بِالْمَكَانِ الَّذِي ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: هَاتِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ، فَوَضَعْنَا مَتَاعَهَا وَفَتَشْنَاهَا، فَلَمْ نَجِدْ فِي مَتَاعِهَا، فَقَالَ أَبُو مَرْثِدَ: لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ مَعَهَا، فَقُلْتُ: مَا كَذَّبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا كَذَّبَ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، وَإِلَّا عَرَيْنَاكَ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَرْة: فَأَخْرَجْتَهُ مِنْ حُجْرَتِهَا، وَقَالَ حَبِيبٌ: أَخْرَجْتَهُ مِنْ قَبْلِهَا فَأَتَيْنَاهُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا الْكِتَابُ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَةَ، فَقَامَ عَمْرٌو فَقَالَ: خَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَيْدُنَ لِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟» قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُ قَدْ نَكثَ وَظَاهَرَ أَعْدَاءَكَ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اغْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»، ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم، فأرسل إلى حاطب، فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا نبي الله إني كنت امرأاً ملصقا في قريش، وكان لي بها أهل ومال، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت إليهم بذلك، والله يا نبي الله إني لمؤمن بالله وبرسوله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ، فَلَا تَقُولُوا لِحَاطِبٍ إِلَّا خَيْرًا»، فقال حبيب بن أبي ثابت: فأنزل الله عز وجل: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ... الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال حدثنا عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ... إلى آخر الآية، نزلت في رجل كان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة من قريش، كتب إلى أهله وعشيرته بمكة، يخبرهم وينذرهم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سائر إليهم، فأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصحيفته، فبعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأتاه بها.

26248- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جُعْلًا، على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها. ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت. وأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر من

السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: «أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرونهم ما قد اجتمعنا له في أمرهم»، فخرجا حتى أدركا بالحليفة، حليفة ابن أبي أحمد فاستنزلاها فالتمسا في رحلها، فلم يجدا شيئا، فقال لها علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبتنا، ولتخرجن إلي هذا الكتاب، أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه، قالت: أعرض عني، فأعرض عنها، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب فدفعته إليه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا، فقال: «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكنني كنت امرأة في القوم ليس لي أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم عليه، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فلاضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يذريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد عقرت لكم» فأنزل الله عز وجل في حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء... إلى قوله وإليك أثبتنا... إلى آخر القصة.

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة قال: لما نزلت: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء في حاطب بن أبي بلتعة، كتب إلى كفار قريش كتابا ينصح لهم فيه، فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك، فأرسل عليا والزبير، فقال: «أذهبوا فإيكمما ستجدن امرأة بمكان كذا وكذا، فأتيا بكتاب معها»، فانطلقا حتى أدركاها، فقالا: الكتاب الذي معك، قالت: ليس معي كتاب، فقالا: والله لا ندع معك شيئا إلا فتنشاه، أو تخرجينه، قالت: أولستم مسلمين؟ قالوا: بلى، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن معك كتابا قد أيقنت أنفسنا أنه معك فلما رأته جدهما أخرجت كتابا من بين قرونها، فذهب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى كفار قريش، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أنت كتبت هذا الكتاب؟» قال: نعم، قال: «ما حملك على ذلك؟» قال: أما والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت، ولكنني كنت امرأة غريبا فيكم أيها الحي من قريش، وكان لي بمكة مال وبنون، فأردت أن أدفع بذلك عنهم، فقال عمر رضي الله عنه: أئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مهلاً يا بن الخطاب، وما يذريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فأني غافر لكم» قال الزهري: فيه نزلت حتى عفو رجي.

26249- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء... إلى قوله بما تعملون بصير في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة، ومن معه كفار قريش يحذرونهم.

26250- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء... حتى بلغ سواء السبيل: ذكر لنا أن حاطبا كتب إلى أهل مكة يخبرهم سير النبي صلى الله عليه وسلم.

وسلم إليهم زمن الحديبية، فأطلع الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك، وذكر لنا أنهم وجدوا الكتاب مع امرأة في قرن من رأسها، فدعاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حملك على الذي صنعت؟» قال: والله ما شككت في أمر الله، ولا ارتددت فيه، ولكن لي هناك أهلاً ومالاً، فأردت مصانعة قريش على أهلي ومالي. وذكر لنا أنه كان حليفاً لقريش لم يكن من أنفسهم، فأنزل الله عز وجل في ذلك القرآن، فقال: إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ.

الآية : 2-3

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.
يقول تعالى ذكره: إن يتقاكم هؤلاء الذين تسرون أيها المؤمنون إليهم بالموعدة، يكونوا لكم حرباً وأعداءً ويسطوا إليكم أيديهم بالقتال والسيئة بالسوء.

وقوله: وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ يقول: وتمنوا لكم أن تكفروا بربكم، فتكونوا على مثل الذي هم عليه.

وقوله: لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يقول تعالى ذكره: لا يدعونكم أرحامكم وقرباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالموعدة. فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا، وكفرتم به.

وقوله: يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ يقول جل ثناؤه: يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معاصيه والكفر به النار. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة: «يُفْصِلُ بَيْنَكُمْ» بضم الياء وتخفيف الصاد وفتحها، على ما لم يسم فاعله. وقرأه عامة قراء الكوفة خلا عاصم بضم الياء وتشديد الصاد وكسرهما بمعنى: يفصل الله بينكم أيها القوم. وقرأه عاصم بفتح الياء وتخفيف الصاد وكسرهما، بمعنى يفصل الله بينكم. وقرأ بعض قراء الشام «يُفْصِلُ» بضم الياء وفتح الصاد وتشديدها على وجه ما لم يسم فاعله. وهذه القراءات متقاربات المعاني صحيحات في الإعراب، فبأيها قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يقول جل ثناؤه: والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر، لا يخفى عليه منها شيء، هو بجميعها محيط، وهو مجازيكم بها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فاتقوا الله في أنفسكم واحذروه.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة: يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به، والذين معه من أنبياء الله، كما: 26251- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله عز وجل: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ قَالَ: الذين معه الأنبياء.

وقوله: إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُول: حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد. وقوله: كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ يَقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقا، وظهر بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبدا على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هودة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدقوا بالله وحده، فتوحده، وتفردوه بالعبادة.

وقوله: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ يَقول تعالى ذكره: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ فَإِنَّهُ لَا أُسْوَةَ لَكُمْ فِيهِ فِي ذَلِكَ، لَأَن ذَلِكَ كَانَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. يقول تعالى ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العدواة والبغضاء. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26252- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ قَالَ: تُهْوَا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِاسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، فَيَسْتَغْفِرُوا لِلْمَشْرُكِينَ.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي جعفر، عن مطرّف الحارثي، عن مجاهد: أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ... إِلَى قَوْلِهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ يَقول: فِي كُلِّ أَمْرٍ أُسْوَةٌ، إِلَّا الْاسْتِغْفَارَ لِأَبِيهِ.

26253- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ... الْآيَةِ، اتَّسَوْا بِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مَا خَلَا قَوْلَهُ لِأَبِيهِ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ فَلَا تَأْتِسُوا بِذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ يَقول: لَا تَأْتِسُوا بِذَلِكَ فَإِنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ مَوْعِدًا، وَتَأَسَّوْا بِأَمْرِهِ كُلِّهِ.

26254- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... إِلَى قَوْلِهِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ قَالَ: يَقول: لَيْسَ لَكُمْ فِي هَذَا أُسْوَةٌ.

ويعني بقوله: وَمَا أُمِّلُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ يَقُول: وما أَدْفَعُ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ من عقوبة، إن الله عاقبك على كفرِكَ به، ولا أَعْنِي عَنْكَ مِنْهُ شَيْئًا. وقوله: رَبَّنَا عَلَيْنَكَ تَوَكَّلْنَا يَقول جُلُّ ثَنَاؤِهِ مخبرًا عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم: رَبَّنَا عَلَيْنَكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَ يَا رَبَّنَا رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب وترضى وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ يَقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العَرْض.

الآية : 5-6

القول في تأويل قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رَحْمَةً رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل إبراهيم خليله والذين معه: يَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ فَجحدوا وحدانيتك، وعبدوا غيرك، بأن تسلطهم علينا، فيروا أنهم على حق، وأنا على باطل، فتجعلنا بذلك فِتْنَةً لهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 26255- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا قال لا تعدنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا.

26256- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا قال: يقول: لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك. يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه. 26257- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا يقول: لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

وقوله: وَاعْفُ رَحْمَةً رَبَّنَا يَقول: واستر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يعني الشديد الانتقام ممن انتقم منه، الحكيم: يقول الحكيم في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم. وقوله: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ يَقول تعالى ذكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسول لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ يَقول: لمن كان منكم يرجو لقاء الله، وثواب الله، والنجاة في اليوم الآخر. وقوله وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ يَقول تعالى ذكره: ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم، فأعرض عنه وأدبر مستكبرا، ووالى أعداء الله، وألقى إليهم بالموَدَّة، فإن الله هو الغني عن إيمانه به، وطاعته إياه، وعن جميع خلقه، الحميد عند أهل المعرفة بأيادي، وآلائه عندهم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من أعدائي من مشركي قريش مودَّة، ففعل الله ذلك بهم، بأن

أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وأحزابا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26258- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً قال: هؤلاء المشركون قد فعل، قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودة حين كان الإسلام حين الفتح.

وقوله: والله قَدِيرٌ يقول: والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من المشركين مودة وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالموودة إذا تاب منها، رحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26259- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ على ذلك وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر الذنوب الكثيرة، رحيم بعباده.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }.

يقول تعالى ذكره: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ يقول: وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرَّكم بهم.

واختلف أهل التأويل في الذين عُثُوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عُني بها: الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا، فأذن الله للمؤمنين ببرَّهم والإحسان إليهم. ذكر من قال ذلك:

26260- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ أَنْ تَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ، وَتَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ قال: وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا.

وقال آخرون: عُني بها من غير أهل مكة مَنْ لم يهاجر. ذكر من قال ذلك:

26261- حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي، قال: حدثنا هارون بن معروف، قال: حدثنا بشر بن السري، قال: حدثنا مصعب بن ثابت، عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها قُتَيْلَة ابنة عبد العُزَى، فأَتَتْهَا بهدايا وَصِئَابَ وَأَقْطَ وَسَمْنٍ، فقالت: لَا أَقْبَلُ لَكَ هَدِيَّةً، وَلَا تَدْخُلِي عَلَيَّ حَتَّى يَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ عَائِشَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ... إِلَى قَوْلِهِ: الْمُقْسِطِينَ.

قال: ثنا إبراهيم بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: قَدِمْتُ قُتَيْلَة بنت عبد العُزَى بن سعد من بني مالك بن حِشْلٍ على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، فذكر نحوه.

وقال آخرون: بل عُني بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين، ولم يخرجوهم من ديارهم قال: ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم. ذكر من قال ذلك:

26262- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عز وجل: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ... الآية، فقال: هذا قد نسخ، نَسَخَهُ، القتال، أمروا أن يرجعوا إليهم بالسيوف، ويجاهدوهم بها، يضربونهم، وضرب الله لهم أجل أربعة أشهر، إما المذابحة، وإما الإسلام.

26263- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ... الآية، قال: نسختها أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بذلك: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تَبْرُوهُمْ وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عم بقوله الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخص به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهى عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ}.

يقول تعالى ذكره: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ من كفار أهل مكة وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ يقول: وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم أن تولوهم، فتكونوا لهم أولياء ونصراء وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يقول: ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء فأولئك هُمُ الظَّالِمُونَ يقول: فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولوه، ووضعوا ولايتهم في غير موضعها، وخالفوا أمر الله في ذلك. ونحن الذي قلنا في معنى قوله الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26264- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ قال: كفار أهل مكة.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن وكانت محنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهن إذا قديم مهاجرات، كما:

26265- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي، قال: سئل ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا الحسن بن عطية، عن قيس، قال: أخبرنا الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس في يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن قال كانت المرأة إذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت... ثم ذكر نحوه.

26266- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، أن عائشة قالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن المؤمنات إلا بالآية، قال الله: إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا، ولا.

26267- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يُبَايِعُكَ... إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات، فقد أقر بالمحبة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقرن بذلك من قولهن قال لهن: «انطلقن فقد بايعتكن»، ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط، إلا بما أمره الله عز وجل، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن «قد بايعتكن كلاما».

26268- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات... إلى قوله: عَلِيمٌ حَكِيمٌ كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

26269- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: فامتحنوهن قال: سلوهن ما جاء بهن فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن، أو سخطه، أو غيره، ولم يؤمن، فارجعوهن إلى أزواجهن.

26270- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة فامتنحواهنّ كانت محتتهنّ أن يستحلن بالله «ما أخرجكنّ النشوز، وما أخرجكنّ إلا حبّ الإسلام وأهله، وجِزْصُ عليه»، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهنّ.

ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله فامتنحواهنّ قال: يحلفن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، وحباً لله ورسوله. 26271- حدثنا ابن حمّيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه أو عكرمة إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحواهنّ قال: يقال: ما جاء بك إلا حبّ الله، ولا جاء بك عشق رجل منا، ولا فرارا من زوجك، فذلك قوله فامتنحواهنّ.

26272- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها، وكان بينه وبينها كلام، قالت: والله لأهاجرين إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال الله عز وجل: إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحواهنّ إن كان الغضب أتى بها فردوها، وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردوها.

26273- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، قال: كان امتحانهنّ إنه لم يُخرجكِ إلا الدين. وقوله: الله أعلم بإيمانهنّ يقول: الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم.

وقوله: فإن علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعهنّ إلى الكفار يقول: فإن أقررن عند المحنة بما يصحّ به عقد الإيمان لهنّ، والدخول في الإسلام، فلا تردوهنّ عن ذلك إلى الكفار. وإنما قيل ذلك للمؤمنين، لأن العهد كان جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يردّ المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلماً، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتنحنّ، فوجدهنّ المسلمون مؤمنات، وصحّ ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل، وأمروا أن لا يردوهنّ إلى المشركين إذا علم أنهنّ مؤمنات. وقال جل ثناؤه لهم: فإن علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعهنّ إلى الكفار لهنّ حلّ لهنّ ولا هم يحلونّ لهنّ يقول: لا المؤمنات حلّ للكفار ولا الكفار يحلونّ للمؤمنات. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار. ذكر بعض ما روي في ذلك من الآثار:

26274- حدثنا ابن حمّيد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: دخلت على عروة بن الزبير، وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هنيئ صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله عز وجل: إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات... إلى قوله واللّه عليهنّ حكيم وكتب إليه عروة بن الزبير: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشاً عام الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام، أبى الله أن يُردّنّ إلى المشركين، إذا هنّ امتحنّ محنة الإسلام، فعرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فيه. وقوله وأئوهنّ ما أنفقوا يقول جلّ ثناؤه: وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساءهم مؤمنات إذا علمتموهنّ مؤمنات، فلم ترجعهنّ إليهم ما أنفقوا في نكاحهم إياهنّ من الصداق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26275- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات... إلى قوله عليم حكيم قال: كان امتحانهم أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فإذا علموا أن ذلك حقّ منهنّ لم يرجعوهنّ إلى الكفار، وأعطى بعلمها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقه الذي أصدقها.

26276- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، وإذا فررن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد جميعا عن ابن أبي نجیح عن مجاهد وأئوهم ما أنفقوا وأئوا أزواجهنّ صدقاتهنّ.

26277- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتننوهنّ الله أعلم بإيمانهنّ حتى بلغ والله عليم حكيم هذا حكم حكمه عز وجل بين أهل الهدى وأهل الضلالة كنّ إذا فررن من المشركين الذي بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم فتزوّجنّ بعثوا مهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذي بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد وإذا فررن من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم.

26278- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم أنه من أتاه منهم ردّه إليهم فلما جاءه النساء نزلت عليه هذه الآية، وأمره أن يردّ الصداق إلى أزواجهن حكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردّوا الصداق إلى أزواجهنّ فقال ولا تمسكوا بعهص الكوافر.

26279- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فامتننوهنّ الله أعلم بإيمانهنّ كان نبي الله صلى الله عليه وسلم عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب، فعاهدهم وعاهدوه، وكان في الشرط أن يردّوا الأموال والنساء، فكان نبي الله إذا فاته أحد من أزواج المؤمنين، فلحق بالمعاهدة تاركا لدينه مختارا للشرك، ردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإذا لحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم أحد من أزواج المشركين امتحنها نبي الله صلى الله عليه وسلم، فسألها: «ما أخرجك من قومك؟» فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإن وجدت فرّت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة، وهي متمسكة بالشرك ردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها من المشركين.

26280- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتننوهنّ... الآية كلها، قال: لما هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين كان في الشرط الذي شرط: أن تردّ إلينا من أتاك منا، ونردّ

إليك من أتانا منكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَتَانَا مِنْكُمْ قَنَرْدَهُ إِلَيْكُمْ، وَمَنْ أَتَاكُمْ مِنَّا فَاخْتَارَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ» قال: فأبى الله ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم في النساء، ولم يأبه للرجال، فقال الله عز وجل: إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ... إلى قوله وَأَتُوهُنَّ مَا أَنْقَضُوا أَرْوَاجَهُنَّ.

26281- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، قال كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون هدنة فيمن فر من النساء، فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذي ذهب امرأته نفقتها. وقوله: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَنْكِحُوا هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ اللَّاتِي لَحِقْنَ بِكُمْ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ مَفَارِقَاتٍ لَأَرْوَاجَهُنَّ، وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ إِذَا عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ إِذَا أَنْتُمْ أَعْطَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ، وَيَعْنِي بِالْأَجُورِ: الصَّدَقَاتِ. وَكَانَ قِتَادَةُ يَقُولُ: كُنَّ إِذَا فَرَرْنَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ عَهْدٌ إِلَى أَصْحَابِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجُوهُنَّ، بَعَثُوا بِمُهِوْرَهُنَّ إِلَى أَرْوَاجَهُنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ.

26282- حدثنا بذلك بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، وكان الزهري يقول: إنما أمر الله برّد صداقهنّ إليهم إذا حُيِّنَ عنهم وإن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم.

26283- حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن

الزهري.

26284- حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَلَهَا زَوْجٌ ثُمَّ، لَأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامَ إِذَا اسْتَبْرَأْتَنِ أَرْحَامَهُنَّ.

وقوله: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُمْسِكُوا إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ بِحِبَالِ النِّسَاءِ الْكَوَافِرِ وَأَسْبَابَهُنَّ، وَالْكَوَافِرُ: جَمْعُ كَافِرَةٍ، وَالْعَصَمُ: جَمْعُ عَصْمَةٍ، وَهِيَ مَا اعْتَصَمَ بِهِ مِنَ الْعَقْدِ وَالسَّبَبِ، وَهَذَا نَهْيٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى نِكَاحِ النِّسَاءِ الْمَشْرِكَاتِ مِنْ أَهْلِ الْأَوْثَانِ، وَأَمْرٌ لَهُمْ بِفِرَاقِهِنَّ. وَبَنَحُوهُنَّ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

26285- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نسيوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ حَتَّى يَبْلُغَ بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ فَطْلُقْ عَمْرٍ يَوْمئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ بِالْشَّرْكِ، فَتَزَوَّجْ إِحْدَاهُمَا مَعَافَاةً مِنْ أَبِي سَفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ.

26286- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: بلغنا أن آية المحنة التي ما فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش من أجل العهد الذي كان بين كفار قريش وبين النبي

صلى الله عليه وسلم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يردّ إلى كفار قريش ما أنفقوا على نسائهم اللاتي يسلمن ويهاجرن، ويعولتهنّ كفار للعهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم، ولو كانوا حرباً ليست بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدّة وعقد لم يردّ عليهم شيئاً مما أنفقوا، وحكم الله للمؤمنين على أهل المدّة من الكفار بمثل ذلك، قال الله: يا أيّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغنّ عليمكم حكيم فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كلّ امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم، فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته ابنة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوّجها معاوية بن أبي سفيان، وابنة جروم من خزاعة، فتزوّجها أبو جهم بن حذافة العدويّ، وجعل الله ذلك حكماً حكم به بين المؤمنين والمشرّكين في هذه المدّة التي كانت.

26287- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وقال الزهريّ: لما نزلت هذه الآية يا أيّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات... إلى قوله: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته قريبة ابنة أبي أمية بن المغيرة، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما عليّ شركهما بمكة وأم كلثوم ابنة جروم الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوّجها أبو جهم بن حُذافة بن غانم رجل من قومه، وهما عليّ شركهما وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي كانت عنده أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ففرّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر، وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة على دين قومها، ثم تزوّجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس. وكان ممن فرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار ممن لم يكن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فحبسها وزوّجها رجلاً من المسلمين أميمة بنت بشر الأنصارية، ثم إحدى نساء بني أمية بن زيد من أوس الله، كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرّت منه، وهو يومئذ كافر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل بن حنيف أحد بني عمرو بن عوف، فولدت عبد الله بن سهل.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهريّ، قال الله: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ قال: الزهريّ: فطلق عمر امرأتين كانتا له بمكة.

26288- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ قال: أصحاب محمد أمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة، قعدن مع الكفار.

26289- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ مشركات اللاتي يابن الإسلام أمر أن يُخلّى سبيلهنّ.

26290- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها، خلوها، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت.

واختلفت القراء في قراءة قوله وَلَا تُمْسِكُوا فَقْرًا ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والشام، وَلَا تُمْسِكُوا بتخفيف السين. وقرأ ذلك أبو عمرو «وَلَا تُمْسِكُوا» بتشديدها، وذكر أنها قراءة الحسن، واعتبر من قرأ ذلك بالتخفيف، وإمساك بمعروف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان، محكى عن العرب أمسكت به وميسكت، وتمسكت به.

وقوله: وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ بِالْمُشْرِكِينَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ كَفَارِ قَرِيشٍ: واسئلوا أيها المؤمنون الذين ذهب أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهم من الصداق من تزوجهن منهم، وليس لکم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤنات إذا تزوجن فيكم من تزوجها منكم ما أنفقوا عليهن من الصداق. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26291- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: أقر المؤمنون بحكم الله، وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين.

26292- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْإِسْلَامِ بِالْمُشْرِكِينَ: ما ذهب من أزواج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكفار، فليعطهم الكفار صدقاتهن، وليمسكوهن، وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمثل ذلك في صلح كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين قريش.

وقوله: دَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هذا الحكم الذي حكمت بينكم من أمركم أيها المؤمنون بمسألة المشركين، وما أنفقتم على أزواجكم اللاتي لحقن بهم وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك في أزواجهن اللاتي لحقن بكم، حكم الله بينكم فلا تعتدوه، فإنه الحق الذي لا يسمع غيره، فانتهي المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر إلى أمر الله وحكمه، وامتنع المشركون منه وطالبوا الوفاء بالشروط التي كانوا شارطوها بينهم في ذلك الصلح، وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السير وغيرهم. ذكر من قال ذلك:

26293- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا، فأنزل الله عز وجل: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ... الآية.

26294- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، قال: قال الله: دَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء، وردّه الرجال، وسأل الذي أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهن، وأن يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم رد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء، كما رد الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان

بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقا، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد.
قوله: **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** يقول **جَلَّ ثَنَاؤُهُ**: والله ذو علم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأمور، حكيم في تدبيره إياهم.

الآية: 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}.
يقول **جَلَّ ثَنَاؤُهُ** للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: **وَإِنْ قَاتَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ** فليحق بهم. واختلف أهل التأويل في الكفار الذين عُتُوا بقوله إلى الكفار من هم؟ فقال بعضهم: هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، قالوا: ومعنى الكلام: **وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ**، إلى من ليس بينكم وبينهم عهد من الكفار. ذكر من قال ذلك:
26295- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ** الذين ليس بينكم وبينهم عهد.

26296- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ** إذا فررن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد **وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ** قال: لم يكن بينهم عهد.

وقال آخرون: بل هم كفار قريش الذي كانوا أهل هدنة، وذلك قول الزهري.

26297- حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عنه.

وقوله: **فَعَقَبْتُمْ** اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار **فَعَقَبْتُمْ** بالالف على مثال فاعلتم، بمعنى: أصبتم منهم عقبي. وقرأه حميد الأعرج فيما ذكر عنه: «**فَعَقَّبْتُمْ**» على مثال فَعَلْتُمْ مشددة القاف، وهما في اختلاف الألفاظ بهما نظير قوله: **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ** وَتُصَاعِرْ مع تقارب معانيهما.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ **فَعَقَبْتُمْ** بالالف لإجماع الحجة من القراء عليه.
وقوله: **فَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا** يقول: فأعطوا الذين ذهب أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهم من الصداق. واختلف أهل التأويل في المال الذي أمر أن يعطى منه الذي ذهب زوجته إلى المشركين، فقال بعضهم: أمروا أن يعطوهم صداق من لحق بهم من نساء المشركين. ذكر من قال ذلك:

26298- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن الزهري، قال: أقرّ المؤمنون بحكم الله، وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين، فقال الله للمؤمنين: وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤَمِّنُونَ فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين، ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم، الذي أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمن وهاجرن، ثم ردّوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم. والعقب: ما كان بأيدي المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن.

26299- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: أنزل الله وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا فأمر الله المؤمنين أن يردّوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج أن يردّ إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما أمروا أن يردّوا إلى المشركين..

وقال آخرون. بل أمروا أن يعطوه من الغنيمة أو الفيء. ذكر من قال ذلك: 26300- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤَمِّنُونَ يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار، أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق. 26301- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، إنهم كانوا أمروا أن يردّوا عليهم من الغنيمة. وكان مجاهد يقرأ: فَعاقِبْتُمْ.

26302- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد فَعاقِبْتُمْ يقول: أصبتم مغنماً من قريش أو غيرهم فاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا صدقاتهنّ عوضاً. حدثنا ابن حمّيد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ قال: من لم يكن بينهم وبينهم عهد، فذهبت امرأة إلى المشركين، فيدفع إلى زوجها مهر مثلها فَعاقِبْتُمْ فأصبت غنيمة فاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ قال: مهر مثلها يُدفع إلى زوجها.

26303- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ كُنْ إِذَا فَرَرْنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكُفَّارِ ليس بينهم وبين نبي الله عهد، فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة، أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم يقتسمون غنيمتهم.

26304- حدثني أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: سمعت الكسائي يخبر عن زائدة، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق أنه قرأها فَعَاقَبْتُمْ وفسرها فغنمتم.

26305- حدثنا أحمد، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: فَعَاقَبْتُمْ قال: غنمتم.

26306- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سألنا الزهري، عن هذه الآية وقول الله فيها: وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ. الآية، قال: يقول: إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكفار، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذي يأخذون منكم، فعوضوه من شيء إن أصبتموه. وقال آخرون في ذلك ما:

26307- حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ قال: خرجت امرأة من أهل الإسلام إلى المشركين، ولم يخرج غيرها. قال: فأتت امرأة من المشركين، فقال القوم: هذه عُقْبَتُكُمْ قد أتتكم، فقال الله وَإِنْ قَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ: أمسكتكم الذي جاءكم منهم من أجل الذي لكم عندهم فأتوا الذين ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ثم أخبرهم الله أنه لا جناح عليهم إذا فعلوا الذي فعلوا أن ينكحوهن إذا استبرأ رحمها، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذهب امرأته إلى الكفار، فقال لهذه التي أتت من عند المشركين: هذا زوج التي ذهبت أزواجك؟ فقالت: يا رسول الله، عذر الله زوجة هذا أن تفر منه، لا والله مالي به حاجة، فدعا البختری رجلاً جسيماً، قال: هذا؟ قالت: نعم، وهي ممن جاء من مكة. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله عز وجل في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقْبَى، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا على الفأرة منهم إليهم، ولم يخص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كل الأموال التي ذكرناها.

وقوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ يقول: وخافوا الله الذي أنتم به مصدقون أيها المؤمنون فاتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِنِهْتَانِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنین ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بنهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يقول: ولا يأتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهن وأرجلهن. وإنما معنى الكلام: ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26308- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا يَأْتِيَنَّ بَيْهَاتَانِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ يَقُول: لَا يَلْحَقَنَّ بَأَزْوَاجِهِمْ غَيْرَ أَوْلَادِهِمْ.

وقوله: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ يَقُول: وَلَا يَعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عز وجل تأمره به. وذكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهن أن لا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هو النياحة. ذكر من قال ذلك:

26309- حدثنا عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ يَقُول: لَا يُنْحَن.

26310- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ، قال: النوح.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن سالم، مثله.

26311- حدثنا محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا موسى بن عمير، عن أبي صالح، في قوله: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: في نياحة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: النوح.

26312- قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن زيد بن أسلم وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: لا يخذش وجهها، ولا يشقق جيبها، ولا يدعو ولا ينشدن شعرا.

26313- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبائعكن على أن لا تشركن بالله شيئا، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمته الله عليه

متنكرة في النساء، فقالت: إني إن أتكلم يعرفني، وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكت النسوة اللاتي مع هند، وأبين أن يتكلمن قالت هند وهي متنكرة: وكيف يقبل من النساء شيئا لم يقبله من الرجال؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال لعمر: «قُلْ لِهِنَّ وَلَا يَسْرِقَنَّ»، قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهات وما أدري أيحلهن لي أم لا، قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى، أو قد بقي، فهو لك حلال، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها، فدعاها فأتته، فأخذت بيده، فعادت به، فقال: «أَنْتِ هِنْدُ»،

فقالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: وَلَا يَزْنِيَنَّ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ؟ قال: «لا والله ما تَزْنِي الْحُرَّةُ» قال: وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر قال: وَلَا يَأْتِيَنَّ بَيْهَاتَانِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمرقن الثياب وَيَخْدِشْنَ

الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالثبور والويل.

26314- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ حَتَّى بَلَغَ قَبَايِعُهُنَّ ذُكْرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ عَلَيْهِنَّ يَوْمَئِذٍ النِّاحَةَ، «وَلَا تَحْدُثَنَّ الرِّجَالُ، إِلَّا رَجُلًا مِنْكُمْ مَحْرَمًا»، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبي الله إن لنا أضيافاً، وإنا نغيب عن نسائنا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ أَوْلَئِكَ عَنَيْتُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَالَ: هُوَ النَّوْحُ أَخَذَ عَلَيْهِنَّ لَا يَنْحَن، وَلَا يَخْلُونَ بِحَدِيثِ الرِّجَالِ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّا نَغِيبُ وَيَكُونُ لَنَا أَضْيَافٌ قَالَ: «لَيْسَ أَوْلَئِكَ عَنَيْتُ».

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا سليمان، قال: أخبرنا أبو هلال، قال: حدثنا قتادة، في قوله وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَالَ: لَا يَحْدُثَنَّ رَجُلًا. 26315- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن عياش، عن سليمان بن سليمان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتبايعه على الإسلام فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تُسْرِقِي، وَلَا تَزْنِي، وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكَ، وَلَا تَأْتِي بَيْهَتَانِ تَفْتَرِيَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرَجُلَيْكَ، وَلَا تُنْوَحِي وَلَا تَبْرَجِي تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى».

26316- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة، قالت: جاءت نسوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبأيعنّه، فقال: «فِيْمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ»، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا.

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أبي وشعيب بن الليث، قال: حدثنا خالد بن يزيد، عن ابن أبي هلال، عن ابن المنكدر أن أميمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة، فقلن: يا رسول الله ابسط يدك نصافحك، فقال: «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ، وَلَكِنْ سَأَخُذُ عَلَيْكُمْ»، فأخذ علينا حتى بلغ: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَقَالَ: «فِيْمَا أَطَقْتُنَّ وَاسْتَطَعْتُنَّ» فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا.

26317- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم، عن ابن سيرين، عن أم عطية الأنصارية، قالت: كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعنا أن لا ننوح، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني، فلا حتى أجزيهم، فانطلقت فأسعدتهم، ثم جاءت فبايعت قال: فما وفي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك.

26318- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا عمرو بن فروخ القتات، قال: حدثنا مصعب بن نوح الأنصاري، قال: «أَدْرَكْتُ عَجُوزًا لَنَا كَانَتْ فِيْمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ لِأَبَايَعِهِ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا فِيمَا أَخَذَ وَلَا تُنْحَن، فَقَالَتْ عَجُوزٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ نَاسًا قَدْ كَانُوا أَسْعَدُونِي عَلَى مَصَائِبِ أَصَابْتَنِي، وَإِنَّهُمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْعِدَهُمْ قَالَ: «فَأَنْطَلِقِي فَكَافِيْنَهُمْ» ثُمَّ إِنَّهَا أَتَتْ فَبَايَعْتَهُ، قَالَ: «هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ»: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ.

26319- حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا وكيع، عن يزيد، مولى الصهباء، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: «النوح».

حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا يونس، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة التيمية، قالت: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من المسلمين، فقلنا له: جئناك يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنّي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتان نفتره بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيما استطعتم وأطقتن»، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، فقلنا: بايعنا يا رسول الله، فقال: «أَذْهَبَن قَعْدُ بَايَعْتُكُنَّ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمَنَّةٍ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»، وما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أحداً.

حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن عيسى بن عبد الله التيمي، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة خالة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: سمعتها تقول: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ علينا أن لا نشرك بالله شيئاً، فذكر مثل حديث محمد بن إسحاق.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة، قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نبايعه، قالت: فأخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم بما في القرآن أن لا يُشْرَكَ بالله شيئاً... الآية، ثم قال: «فيما استطعتم وأطقتن» فقلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ فقال: «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ مَا قَوْلِي لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا كَقَوْلِي لِمَنَّةٍ امْرَأَةٍ».

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.

26320- حدثت، عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ والمعروف: ما اشترط عليهن في البيعة أن يتبعن أمره.

26321- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وخيرته من خلقه ثم لم يستحل له أمور أمر إلا بشرط لم يقل: ولا يعصينك ويترك حتى قال: في معروف: فكيف ينبغي لأحد أن يطاع في غير معروف وقد اشترط الله هذا على نبيه، قال: فالمعروف كل معروف أمرهن به في الأمور كلها وينبغي لهن أن لا يعصين.

26322- حدثنا محمد بن سنان القزاز، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا إسحاق بن عثمان بن يعقوب، قال: ثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، عن جدته أم عطية، قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، جمع بين نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب، فقام على الباب فسلم علينا، فرددن، أو فرددنا عليه، ثم قال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك، قالت: فقلنا مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا

تشركن بالله شيئا، ولا تسرقن، ولا تزنين، قالت: قلنا نعم قال: فمدّ يده من خارج الباب أو البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشهد قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق، ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنازة، قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قول الله وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ قالت: النياحة.

26323- حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، في قول الله: وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: لا يخلوا الرجل بامرأة.

وقوله: قَبَائِعُهُنَّ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُنكَ عَلَى هَذِهِ الشُّرُوطِ، فَبَايَعْنَهُنَّ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ يَقُولُ: سِلَّ لَهُنَّ اللَّهُ أَنْ يَصْفَحَ عَنْ ذُنُوبَهُنَّ، وَيَسْتَرْهَا عَلَيْهِنَّ بِعَفْوِهِ لَهُنَّ عَنْهَا، إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ يَقُولُ: إِنْ اللَّهُ ذُو سِتْرٍ عَلَى ذُنُوبٍ مِنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْ يَعَذِّبَهُ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنْهَا.

الآية: 13

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}. يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ فقال بعضهم: معنى ذلك: قد يتبس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله في الآخرة، وأن يُبعثوا، كما يتبس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم في القبور أن يرجعوا إليهم. ذكر من قال ذلك:

26324- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... الآية، يعني من مات من الذين كفروا، فقد يتبس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله.

26325- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسين أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ قال: الكفار الأحياء قد يتبسوا من الأموات.

26326- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ يَقُولُ: يَتَّبِعُوا أَنْ يُبْعَثُوا كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ الْقُبُورِ الَّذِينَ مَاتُوا.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ... الآية، الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره.

26327- حدثنا عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ، كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ يقول: من مات من الذين كفروا فقد يتبس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها، ويغفر لهم، كما يئس الكفار الذي هم أصحاب قبور قد ماتوا وصاروا إلى القبور من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم. ذكر من قال ذلك:

26328- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، في هذه الآية: قَدْ يَيْئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيْئَسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ قال: أصحاب القبور الذين في القبور قد يئسوا من الآخرة. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله قَدْ يَيْئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيْئَسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ قال: من ثواب الآخرة حين تبين لهم عملهن، وعانوا النار. 26329- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَيْئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ... الآية، قال: أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة.

26330- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الكلبي: قد يئسوا من الآخرة، يعني اليهود والنصارى، يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها، كما يئس الكفار الذي قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار.

26331- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا... الآية، قال: قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عانوا من أمر الآخرة، فكما يئس أولئك الكفار، كذلك يئس هؤلاء الكفار قال: والقوم الذين غضب الله عليهم، يهودهم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به، وما صنعوا وقد علموا.

26332- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، في قوله: يَيْئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ... الآية، قال: قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة، كما يئس من في القبور من الكفار من الخير، حين عانوا العذاب والهوان.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبي، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخص بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون.

سورة الصف

سورة الصف مدنية
وآياتها أربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: { سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }.

يقول جل ثناؤه: سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّيْعِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ، مُذْعِنِينَ لَهُ بِالْأَلُوْهَةِ وَالرَّبُّوِيَّةِ وَهُوَ الْعَزِيزُ فِي نَقْمَتِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ، فَكَفَرُ بِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ. وقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ يقول تعالى ذكره: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَدِّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لِمَ تَقُولُونَ الْقَوْلَ الَّذِي لَا تَصَدِّقُونَهُ بِالْعَمَلِ، فَأَعْمَالُكُمْ مُخَالِفَةٌ أَقْوَالِكُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ يقول: عَظُمَ مَقْتًا عِنْدَ رَبِّكُمْ قَوْلُكُمْ مَا لَا تَفْعَلُونَ.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية، فقال بعضهم: أنزلت توبيخاً من الله لقوم من المؤمنين، تمنوا معرفة أفضل الأعمال، فعزفهم الله إياه، فلما عرفوا قصرُوا، فعوتبوا بهذه الآية. ذكر من قال ذلك:

26333- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يُفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به فلما نزل الجهاد، كره ذلك أناس من المؤمنين، وشقّ عليهم أمره، فقال الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ قال: كان قوم يقولون: والله لو أنا نعلم ما أحب الأعمال إلى الله لعملناه، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا... إلى قوله بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ فدلهم على أحب الأعمال إليه.

26334- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن محمد بن جحادة، عن أبي صالح، قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فكرهوا، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ.

26335- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ... إلى قوله: مَرْصُوصٌ فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل

الله هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيدا.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول فعلت كذا وكذا، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبا. ذكر من قال ذلك:

26336- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ قال: بلغني أنها كانت في الجهاد، كان الرجل يقول: قاتلت وفعلت، ولم يكن فعل، فوعظهم الله في ذلك أشد الموعظة.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ يؤذنه ويعلمهم كما تسمعون كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه، فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ... إلى قوله: كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوعٌ.

26337- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ أنزل الله هذا في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل قال الله: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ.

وقال آخرون: بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين، كانوا يَعِدُونَ المؤمنين النصر وهم كاذبون. ذكر من قال ذلك:

26338- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ يقول للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم، وكنا في نصركم، وفي، وفي، فأخبرهم أنه كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصرنا في العمل بعدما عرفوا. وإنما قلنا: هذا القول أولى بها، لأن الله جل ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموا، ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أمَلُوا بقولهم: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم، عن القيام بما أمَلُوا القيام به قبل العلم، وقوي آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف.

واختلفت أهل العربية في معنى ذلك، وفي وجه نصب قوله: كَبُرَ مَقْتًا فقال بعض نحويي البصرة: قال: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ: أي كبر مقتكم مقْتًا، ثم قال: أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ: أذى قولكم. وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ: كان المسلمون يقولون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لأتيناها، ولو ذهب فيه أنفسنا وأموالنا فلما كان يوم أحد، نزلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى شَجَّ، وكسرت ربايته، فقال: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، ثم قال: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ كبر ذلك مقْتًا: أي فأن في موضع رفع، لأن كبر كقوله: بئس رجلاً أخوك.

وقوله: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا، أُضْمِرَ في كبر اسم يكون مرفوعا.
والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله مَقْتًا منصوب على التفسير، كقول القائل: كبر قولاً هذا القول.

الآية: 4

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} .
يقول تعالى ذكره للقائلين: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقَوْمَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ كَأَنَّهُمْ، يعني في طريقه ودينه الذي دعا إليه صَفًّا يعني بذلك أنهم يقاتلون أعداء الله مصطفين.

وقوله: كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ يقول: يقاتلون في سبيل الله صفا مصطفا، كأنهم في اصطفا فهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئا، وكان بعضهم يقول: بني بالرصاص. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26339- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى صَاحِبِ بُنْيَانٍ كَيْفَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَخْلَفَ بُنْيَانَهُ، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به.

26340- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ قال: والذين صدّقوا قولهم بأعمالهم هؤلاء قال: وهؤلاء لم يصدّقوا قولهم بالأعمال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه وتخلّفوا.
وكان بعض أهل العلم يقول: إنما قال الله إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ليدلّ على أن القتال راجلا أحبّ إليه من القتال فارسا، لأن الفرسان لا يصطفون، وإنما تصطف الرجال. ذكر من قال ذلك:

26341- حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن أبي بكر ابن أبي مريم، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي بحرية، قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض، لقول الله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتُموني التفتّ في الصفّ، فجئوا في لحيي.

الآية: 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومُ لِمَ تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكرا يا محمد إِذْ قَالَ مُوسَى بن عمران لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ حَقًّا أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ.

وقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ يقول: فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاع الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه وقد:

26342- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام، قال: حدثنا أبو غالب، عن أبي أمامة في قوله: فَلَمَّا رَأَوْا آرَاجَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ قال: هم الخوارج.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ يقول: والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}.
يقول تعالى ذكره: واذكر أيضا يا محمد إذ قال عيسى ابن مريم لقومه من بني إسرائيل يا بني إسرائيل إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ التي أنزلت على موسى وَمُبَشِّرًا أَبشركم بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ.

26343- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن عرياض بن سارية، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ لِحَاثِمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدٌ فِي طَيْبَتِهِ، وَسَاحِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَجْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَارَةُ عِيسَى بِي، وَالرَّوْعُيَا التي رَأَتْ أُمِّي، وَكَذَلِكَ أُمّهَاتُ النَّبِيِّينَ، يَرَيْنَ أَنَّهَا رَأَتْ حِينَ وَصَعْنِي اللَّهُ حَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ السَّامِ».

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ يقول: فلما جاءهم أحمد بالبينات، وهي الدلالات التي آتاه الله حججا على نبوته قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ يقول: ما أتى به غير أنني ساحر.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.
يقول تعالى ذكره: ومن أشدّ ظلما وعدوانا ممن اختلق على الله الكذب، وهو قول قائلهم للنبي صلى الله عليه وسلم: هو ساحر ولما جاء به سحر، فكذلك افتراءه على الله الكذب وهو يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ يقول: إذا دُعِيَ إِلَى الدخول في الإسلام، قال على الله الكذب، وافتري عليه الباطل وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يقول: والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحق.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.
يقول تعالى ذكره: يريد هؤلاء القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم: هذا ساحر مبين لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ يقول: يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر، وما جاء به سحر، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ يقول: الله معلن الحق، ومظهر دينه، وناصر محمدا عليه الصلاة والسلام على من عاداه، فذلك إتمام نوره، وعنَى بالنور في هذا الموضع الإسلام. وكان ابن زيد يقول: غُنِيَ بِهِ الْقُرْآنُ.

26344- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ** قال: نور القرآن. واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى: **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ** فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «**مُتِمُّ نُورِهِ**» بالنصب. وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة **مُتَمِّغِير** تنوين نوره خفضا، وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب عندنا. وقوله: **وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** يقول: والله مظهر دينه، ناصر رسوله، ولو كره الكافرون بالله.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }**. يقول تعالى ذكره: الله الذي أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق، يعني بيان الحق ودين الحق يعني: وبدين الله، وهو الإسلام. وقوله: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** يقول: ليظهر دينه الحق الذي أرسل به رسوله على كل دين سواه، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم، وحين تصير الملة واحدة، فلا يكون دين غير الإسلام، كما: 26345- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي المقدم ثابت بن هرمز، عن أبي هريرة **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** قال: خروج عيسى ابن مريم.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** والصواب عندنا من القول في ذلك بعلمه فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

26346- حدثني عبد الحميد بن جعفر، قال: حدثنا الأسود بن العلاء، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: **« لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى »** فقالت عائشة: والله يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ...** الآية، أن ذلك سيكون تاما، فقال: **« إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِبْحَا طَيِّبَةً، فَيَتَوَقَّى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مَنْ خَيْرٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ »**.

الآية : 10-11

القول في تأويل قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ دَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }**. يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم موجه، وذلك عذاب جهنم ثم بين لنا حل ثناؤه ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم، فقال: **تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** محمد صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل: وكيف قيل: **تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** وقد قيل لهم: يا أيها الذين آمنوا بوصفهم بالإيمان؟ فإن الجواب في ذلك نظير جوابنا في قوله: يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وقد مضى البيان عن ذلك في موضعه بما أغنى عن إعادته.

وقوله: وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ يَقول تعالى ذكره: وتجاهدون في دين الله، وطريقه الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم ذَلِكَمُ حَيْثُ لَكُمْ يَقول: إيمانكم بالله ورسوله، وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم حَيْثُ لَكُمْ من تضييع ذلك والتفريط إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مضار الأشياء ومنافعها. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «آمِنُوا بِاللَّهِ» على وجه الأمر، وبَيَّنَّتِ التجارة من قوله: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ وفسرت بقوله: ثَوَمُونٌ بِاللَّهِ ولم يقل: أن تؤمنوا، لأن العرب إذا فسرت الاسم بفعل ثبت في تفسيره أن أحيانا، وتطرحها أحيانا، فتقول للرجل: هل لك في خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده؟ هل لك في خير أن تقوم إلى فلان فنعوده؟، بأن وبطرحها. ومما جاء في الوجهين على الوجهين جميعا قوله: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا وَإِنَّا فَالْفَتْحُ فِي أَنَا لُغَةٌ مِنْ أَدْخَلَ فِي يَقومُ أَنْ مِنْ قَوْلِهِمْ: هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ أَنْ تَقومَ، والكسر فيها لُغَةٌ مِنْ يُلْقِي أَنْ مِنْ تَقومَ ومنه قوله: فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَإِنَّا دَمَرْنَاهُمْ، على ما بينا.

26347- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ... الآية، فلولا أن الله بينها، ودل عليها المؤمنين، لتلف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها، حتى يضنوا بها وقد دلهم الله عليها، وأعلمكم إياها فقال: ثَوَمُونٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَمُ حَيْثُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

26348- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ثَوَمُونٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: الحمد لله الذي بينها.

الآية: 12

القول في تأويل قوله تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.
يقول تعالى ذكره: يستر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك فيصفح عنكم ويعفو ويُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يقول: ويُدْخِلْكُمْ بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً يقول: ويُدْخِلْكُمْ أيضا مساكن طيبة فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يعني في بساتين إقامة، لا طعن عنها.
وقوله ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يقول: ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها.

الآية: 13-14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأُخْرَى يُجِيبُونَهَا تَضَرُّعًا مِنَ اللَّهِ وَقَدْ قَرَّبَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ قَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدَتِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}.

اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله وأُخْرَى فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: وتجارة أخرى، فعلى هذا القول يجب أن يكون أخرى في موضع خفض عطفاً به على قوله: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: هي في موضع رفع. أي ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة، ثم قال: نصر من الله مفسرا للأخرى.

والصواب من القول في ذلك عندي القول الثاني، وهو أنه معني به: ولكم أخرى تحبونها، لأن قوله تَصَرُّ مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ مَبِينٌ عَنْ أَنْ قَوْلُهُ وَأُخْرَى فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ، وَلَوْ كَانَ جَاءَ ذَلِكَ خَفَضًا حَسَنًا أَنْ يَجْعَلَ قَوْلُهُ وَأُخْرَى عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ تَجَارَةً، فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ لَوْ قَرِئَ ذَلِكَ خَفَضًا، وَعَلَى خَلَّةٍ أُخْرَى تَحِبُّونَهَا، فَمَعْنَى الْكَلَامِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتُ: هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَى تَجَارَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَيَدْخُلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَلَكُمْ خَلَّةٌ أُخْرَى سِوَى ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَحِبُّونَهَا: نَصَرَ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَفَتَحَ قَرِيبٌ يَجْعَلُهُ لَكُمْ. وَيَبْشُرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَنَبِيهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَبَشُرْ يَا مُحَمَّدُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ اللَّهِ إِيَاهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَفَتَحَ عَاجِلَ لَهُمْ. وَقَوْلُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ اخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: «كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ» بَتْنَوَيْنِ الْأَنْصَارِ. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ بِإِضَافَةِ الْأَنْصَارِ إِلَى اللَّهِ.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتان المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، ومعنى الكلام: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ، يَعْنِي مَنْ أَنْصَارِي مِنْكُمْ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ لِي. وَكَانَ قِتَادَةً يَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا:

26349- حَدَّثَنِي بِهِ بَشَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قِتَادَةَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ تَحَرُّ أَنْصَارُ اللَّهِ قَالَ: قَدْ كَانَتْ لِلَّهِ أَنْصَارٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ تَجَاهِدُ عَلَى كِتَابِهِ وَحَقِّهِ. وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ بَايَعَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، ذَكَرَ لَنَا أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تَبَايَعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ إِنَّكُمْ تَبَايَعُونَ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَرَبِ كُلِّهَا أَوْ يُسْلَمُوا. وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ، قَالَ: اشْتَرِطْ لِرَبِّي أَنْ تَعِيدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاشْتَرِطْ لِنَفْسِي أَنْ تَمْتَعُونِي مِمَّا مَتَّعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ» قَالُوا: فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَا لَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَكُمْ النِّصْرُ فِي الدُّنْيَا، وَالْجَنَّةُ فِي الْآخِرَةِ»، فَفَعَلُوا، فَفَعَلَ اللَّهُ.

26350- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: تَلَا قِتَادَةُ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ، جَاءَهُ سَبْعُونَ رَجُلًا، فَبَايَعُوهُ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، فَنَصَرُوهُ وَأَوْوَهُ حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ قَالُوا: وَلَمْ يَسْمَحْ حَيٌّ مِنَ السَّمَاءِ اسْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ غَيْرُهُمْ.

26351- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قِتَادَةَ: إِنَّ الْحَوَارِيِّينَ كُلَّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَحَمْزَةُ، وَجَعْفَرُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مِظْعُونٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ.

26352- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ: مَنْ يَتَّبِعُنِي إِلَى اللَّهِ.

26353- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن ميسرة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، قال: سئل ابن عباس عن الحواريين، قال: سُمُّوا لبياض ثيابهم كانوا صيادي السمك.

26354- حُذِث عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الحواريون: هم الغسالون بالنبطية يقال للغسال: حواري، وقد تقدم بياننا في معنى الحواري بشواهده واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى، فأغني عن إعادته.

وقوله: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ يَقُولُ: قالوا: نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحقِّ. وقوله: فَأَمَنْتُ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَمَنْتُ طائفة من بني إسرائيل بعتسى، وكفرت طائفة منهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26355- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي قال: ثم قال: أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سناً، قال: فقال أنا، فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال أنا قال: نعم أنت ذاك فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من رَوْزَنَةِ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبهه. فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، فتفرقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوا، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فَأَمَنْتُ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين.

وقوله: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ يَقُولُ: فَقَوَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، الذي كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لتصديقه إياهم، أن عيسى عبد الله ورسوله، وتكذيبه من قال هو إله، ومن قال: هو ابن الله تعالى ذكره، فأصبحوا ظاهرين، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوهم الكافرين منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26356- حدثني محمد بن عبد الله الهلالي، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ قَالَ: قَوَّيْنَا.

26357- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم فآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ قَالَ: لما بعث الله محمداً، ونزل تصديق من آمن بعيسى، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة. 26358- قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم، في قوله فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عُدُوتِهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ قَالَ: أيدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فصدّ قههم، وأخبر بحجتهم. حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ قَالَ: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الله وروحه. 26359- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ من آمن مع عيسى صلى الله عليه وسلم.

سورة الجمعة

سورة الجمعة مدنية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} .
يقول تعالى ذكره: يسبح لله كلُّ ما في السموات السبع، وكلُّ ما في الأرضين من خلقه، وبِعَظَمِهِ طَوْعاً وَكَرْها الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الَّذِي لَهُ مَلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسُلْطَانُهُمَا، النافذ أمره في السموات والأرض وما فيهما، الْقُدُّوسُ: وهو الطاهر من كلِّ ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك الْعَزِيزُ يعني الشديد في انتقامه من أعدائه الْحَكِيمُ في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} .
يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم، فقلوله هو كناية من اسم الله، والأميون: هم العرب. وقد بيّنا فيما مضى المعنى الذي من أجله قيل للأمي أمي. وبنحو الذي قلنا في الأميين في هذا الموضع قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26360- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ قال: العرب.

26361- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سيفيان الثوري يحدث لا أعلمه إلا عن مجاهد أنه قال: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ: العرب.

26362- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ قَالَ كَانَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْعَرَبِ أُمَّةً أُمِّيَّةً، لَيْسَ فِيهَا كِتَابٌ يَقْرَأُونَهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً وَهُدًى يَهْدِيهِمْ بِهِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ قَالَ: كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمِّيَّةً لَا يَقْرَأُونَ كِتَابًا.

26363- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ أُمَّةً مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمِّيِّينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِمْ كِتَابًا.

وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَسُولًا مِنْهُمْ يَعْنِي مِنَ الْأُمِّيِّينَ وَإِنَّمَا قَالَ مِنْهُمْ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أُمِّيًّا، وَظَهَرَ مِنَ الْعَرَبِ.

وقوله: يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يَقْرَأُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأُمِّيِّينَ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ وَبَرَكِيَّتِهِمْ يَقُولُ: وَيُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ.

وقوله: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ يَقُولُ: وَيُعَلِّمُهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، وَبُشْرَائِهِ دِينِهِ وَالْحِكْمَةَ يَعْنِي بِالْحِكْمَةِ: السَّنَنَ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

26364- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ أَيَّ السَّنَةِ.

26365- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: وَبَرَكِيَّتِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ أَيْضًا كَمَا عَلَّمَ هَؤُلَاءِ يَزْكِيهِمْ بِالْكِتَابِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ كَمَا صَنَعَ بِالْأَوَّلِينَ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، قَالَ: وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ سَابِقِينَ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَالسَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، وَقَالَ: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ فَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ سَابِقُونَ، وَقَلِيلٌ السَّابِقُونَ مِنَ الْآخِرِينَ، وَقَرَأَ: وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ... حَتَّى بَلَغَ ثَلَاثَةً مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْآخِرِينَ أَيْضًا، قَالَ: وَالسَّابِقُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْآخِرِينَ قَلِيلٌ، وَقَرَأَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ... الْآيَةَ، قَالَ: هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وقوله: وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأُمِّيُّونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ فِي جَوْرِ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَأَخَذَ عَلَى غَيْرِ هُدًى مُبِينٍ يَقُولُ: يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَجَوْرٌ عَنِ الْحَقِّ وَطَرِيقِ الرُّشْدِ.

الآية : 3-4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

يقول تعالى ذكره: وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم، وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم فآخرون في موضع خفض عطفا على الأميين.

وقد اختلف في الذين عُنيوا بقوله: وآخِرِينَ مِنْهُمْ، فقال بعضهم: عُني بذلك العجم. ذكر من قال ذلك:

26366- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثني ابن علي، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: هم الأعاجم. حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حدثنا فضيل بن طلحة، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: هم الأعاجم. حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: الأعاجم.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عاصم، قال: حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: الأعاجم. حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سفيان الثوري لا أعلمه إلا عن مجاهد: وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: العجم.

26367- حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن معين، قال: حدثنا هشام بن يوسف، عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عمر، أنه قال: له: أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذاب، ثم قرأ: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. حتى بلغ وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: فأنتم هم. حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: الأعاجم.

26368- حدثني محمد بن معمر، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا عبد العزيز وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني سليمان بن بلال، جميعا عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرّة أو مرّتين أو ثلاثا، قال: وفينا سلمان الفارسي، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان فقال: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ التُّرْبِ لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ».

حدثني أحمد بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عمي، قال: حدثنا سليمان بن بلال المدني، عن ثور بن زيد، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة، قال: «كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه.

وقال آخرون: إنما عُني بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبي صلى الله عليه وسلم كائنا من كان إلى يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

26369- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: من ردف الإسلام من الناس كلهم.

26370- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: وآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: هؤلاء كل من كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، كل من دخل في الإسلام من العرب والعجم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُني بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في إسلامهم من أي

الأجناس لأن الله عز وجل عم بقوله: وآخرين منهم لما يلحقوا بهم كل لاحق بهم من آخرين، ولم يخصص منهم نوعاً دون نوع، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذي لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آيات الله وقوله: لما يلحقوا بهم يقول: لم يجئوا بعد وسيجيئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 26371 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: لما يلحقوا بهم يقول: لم يأتوا بعد. وقوله: وهو العزيز الحكيم يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به منهم، الحكيم في تدبيره خلقه.

وقوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الأميين من العرب، وفي آخرين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويفعل سائر ما وصف، فضل الله، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم يؤتيه من يشاء يقول: يؤتي فضله ذلك من يشاء من خلقه، لا يستحق الذم ممن حرمه الله إياه، لأنه لم يمنعه حقا كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه إلى غيره، ولكنه علم من هو له أهل، فأودعه إياه، وجلعه عنده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 26372 حدثنا ابن سنان القزاز، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس في: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال: الفضل: الدين والله ذو الفضل العظيم يقول: الله ذو الفضل على عباده، المحسن منهم والمسييء، والذين بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم، العظيم الذي يقل فضل كل ذي فضل عنده.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها ثم لم يحملوها يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به كمثل الحمار يحمل أسفارا يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26373 حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، في قوله: يحمل أسفارا قال: يحمل كتباً لا يدري ما فيها، ولا يعقلها.

26374 حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا قال: يحمل كتاباً لا يدري ماذا عليه، ولا ماذا فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا قال: كمثل الحمار الذي يحمل كتباً، لا يدري ما على ظهره.

26375- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا كتباً، والكتاب بالنبطية يسمى سِفْراً ضرب الله هذا مثلاً للذين أعطوا التوراة ثم كفروا.

26376- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: كَمَثَلِ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا والأسفار: الكتب، فجعل الله مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يتبع ما فيه، كمثال الحمار يحمل كتاب الله الثقيل، لا يدري ما فيه، ثم قال: يَنْسَى مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ... الآية.

26377- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا قال: الأسفار: التوراة التي يحملها الحمار على ظهره، كما تحمل المصاحف على الدواب، كمثال الرجل يسافر فيحمل مصحفه، قال: فلا ينتفع الحمار بها حين يحملها على ظهره، كذلك لم ينتفع هؤلاء بها حين لم يعلموا بها وقد أوتوها، كما لم ينتفع بها هذا وهي على ظهره.

26378- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يقول: كتباً. والأسفار: جمع سفر، وهي الكتاب العظام.

وقوله: يَنْسَى مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يقول: ينسى هذا المثل، مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، يعني بأدلته وحججه والله لا يهدي القوم الظالمين يقول تعالى ذكره: والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بآيات ربهم.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُواْ إِن رَّعَمْتُمْ أَنكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلّٰهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْاْ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لليهود: يا أيها الذين هادوا إن رععتم أنكم أولياء لله من دون الناس سواكم فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في قيلكم، إنكم أولياء لله من دون الناس، فإن الله لا يعذب أولياءه، بل يكرمهم وينعمهم، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت.

26379- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُواْ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ تَابُواْ: لليهود، قال موسى: إنا هُذُنَا إِلَيْكَ: إنا تبنا إليك.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا يقول: ولا يتمنى اليهود الموت أبداً بما قدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ يعني: بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام، واجترحوا من السيئات وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ يقول: والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه، فأوبقها بكفره بالله.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَتَكْرَهُونَهُ، وَتَأْبُونَ أَنْ تُتِمَّنُوهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ وَنَازِلٌ
بِكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ثُمَّ يَرُدُّكُمْ رَيْكُم مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ
إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عَالِمِ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّهَادَةِ: يَعْنِي
وَمَا شَهِدَ فَظَهَرَ لِرَأْيِ الْعَيْنِ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْ أَبْصَارِ النَّاطِرِينَ.
26380- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا
قتادة: ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَذَلَّ ابْنَ آدَمَ
بِالْمَوْتِ لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَفَعَهُ.
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون
من الأعمال، سيئها وحسنها، لأنه محيط بجميعها، ثم يجازيكم على ذلك
المحسن بإحسانه، والمسيء بما هو أهله.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَذَلِكَ هُوَ النِّدَاءُ، ينادى بالدعاء إلى صلاة
الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ومعنى الكلام: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ
مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ يَقُول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا
له وأصل السعي في هذا الموضع العمل، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما
مضى قبل، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26381- حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن
شَرَحْبِيلِ بْنِ مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ قَالَ:
فاسعوا في العمل، وليس السعي في المشي.
26382- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ
وَالسَّعْيُ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ تَسْعَى بِقَلْبِكَ وَعَمَلِكَ، وَهُوَ الْمَضْيُ إِلَيْهَا.
26383- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، قال:
أخبرني مغيرة، عن إبراهيم أنه قيل لعمر رضي الله عنه: إِنَّ أَبِيًّا يَقْرُؤُهَا:
فَاسْعَوْا قَالَ: أَمَا إِنَّهُ أَقْرَأُنَا وَأَعْلَمُنَا بِالْمَنْسُوحِ وَإِنَّمَا هِيَ «فَامْضُوا».
26384- حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري، قال: أخبرنا سفيان، عن
الزهرى، عن سالم، عن أبيه، قال: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ يَقْرُؤُهَا قَطُّ إِلَّا فَامْضُوا.
حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، قال: حدثنا حنظلة، عن سالم بن
عبد الله، قال: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرُؤُهَا: «فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ».
حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن حنظلة، عن سالم
بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قرأها: فامضوا.
حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا حنظلة بن
أبي سفيان الجمحي، أنه سمع سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه، أنه سمع
عمر بن الخطاب يقرأ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَامْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ
اللَّهِ».

قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر, أن عبد الله قال: لقد توفي الله عمر رضي الله عنه, وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَّا «فامضوا» إلى ذكر الله.

26385- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: كان عبد الله يقرأها: «فامضوا إلى ذكر الله» ويقول: لو قرأتها فاسعوا, لسعيت حتى يسقط ردائي.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن عدي, عن شعبة, عن سليمان, عن إبراهيم, قال: قال عبد الله: لو كان السعي لسعيت حتى يسقط ردائي, قال: ولكنها: «فامضوا إلى ذكر الله» قال: هكذا كان يقرأها.

26386- حدثني علي بن الحسين الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن يمان الأزدي, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع عن أبي العالية أنه كان يقرأها: «فامضوا إلى ذكر الله».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, أنه قرأها: «فامضوا إلى ذكر الله».

26387- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن ابن جريج, عن عطاء, قال: هي للأحرار.

26388- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن منصور عن رجل, عن مسروق, قال: عند الوقت.

26389- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن رجل, عن مسروق إذا نُودِيَ للصَّلَاةِ قال: عند الوقت.

26390- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد, قال: هو عند العزمة عند الخطبة, عند الذكر.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعاً عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله إذا نُودِيَ للصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قال: النداء عند الذكر عزيمة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد إذا نُودِيَ للصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قال: العزمة عند الذكر عند الخطبة.

قال: ثنا مهران, عن سفيان عن الأعمش, عن إبراهيم, عن ابن مسعود, قال: لو قرأتها فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي, وكان يقرأها: «فامضوا إلى ذكر الله».

قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن الشعبي, عن ابن مسعود قال: قرأها فامضوا.

26391- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي حيان, عن عكرمة فاسعوا إلى ذكر الله قال: السعي: العمل.

26392- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وسأله عن قول الله: إذا نُودِيَ للصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسعوا إلى ذكر الله قال: إذا سمعتم الداعي الأول, فأجيئوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطئوا قال: ولم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أذان إلا أذانان: أذان حين يجلس على المنبر, وأذان حين تُقام الصلاة قال: وهذا الآخر شيء أحدثه الناس بعد قال: لا يحل له البيع إذا سمع النداء الذي يكون بين يدي الإمام إذا قعد على

المنبر وقرأ فاسعوا إلى ذكر الله وذكروا البيع قال: ولم يأمرهم يذرون شيئا غيره، حرم البيع ثم أذن لهم فيه إذا فرغوا من الصلاة، قال: والسعي أن يسرع إليها، أن يُقيل إليها.

26393- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: إن في حرف ابن مسعود «إذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاْمُضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ».

26394- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله فاسعوا إلى ذكر الله السعي: هو العمل، قال الله: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى.

وقوله: وَذَكِّرُوا الْبَيْعَ يقول: ودعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة عند الخطبة. وكان الضحاك يقول في ذلك ما:

26395- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جويبر، عن الضحاك، قال: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن جويبر، عن الضحاك إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قال: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء.

26396- حدثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك، قال: كان قوم يجلسون في بقيع الزبير، فيشترون وبيعون إذا نودي للصلاة يوم الجمعة، ولا يقومون، فنزلت: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

وأما الذكر الذي أمر الله تبارك وتعالى بالسعي إليه عباده المؤمنين، فإنه موعظة الإمام في خطبته فيما قيل. ذكر من قال ذلك:

26397- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قال: العزمة عند الذكر عند الخطبة.

26398- حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي، قال: حدثنا عبدان، قال: أخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا منصور رجل من أهل الكوفة، عن موسى بن أبي كثير، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسعوا إلى ذكر الله قال: فهي موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد.

وقوله: ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يقول: سعيكم إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله، وترك البيع خیر لكم من البيع والشراء في ذلك الوقت، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارها.

واختلفت القراء في قراءة قوله: مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: الْجُمُعَةِ بضم الميم والجيم، خلا الأعمش فإنه قرأها بتخفيف الميم. والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

يقول تعالى ذكره: فإذا قضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة، فانتشروا في الأرض إن شئتم، ذلك رخصة من الله لكم في ذلك. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26399- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن مجاهد أنه قال: هي رخصة، يعني قوله: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ.

26400- حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ قَالَ: هَذَا إِذْنٌ مِنَ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ خَرَجَ، وَمَنْ شَاءَ جَلَسَ.

26401- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أذن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فَمَنْ أَهْلَكَ لَكُمْ

وقوله: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ. ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في تأويل ذلك ما:

26402- حدثني العباس بن أبي طالب، قال: حدثنا علي بن المعافى بن يعقوب الموصلي، قال: حدثنا أبو عامر الصائغ من الموصلي، عن أبي خلف، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ قَالَ: «لَيْسَ لِبَطْنِ دُثَيْلٍ وَلَكِنْ عِبَادَةُ مَرِيضٍ، وَخُضُورُ جَنَارَةٍ، وَزِيَارَةُ أَخٍ فِي اللَّهِ».

وقد يحتمل قوله: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ لِدُنْيَاكُمْ وَأُخْرَتِكُمْ.

وقوله: وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: واذكروا الله بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفعلوا، فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جناته.

الآية: 11

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْهَوٍ وَتِجَارَةٍ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون غير تجارة أو لهو انفَضُّوا إِلَيْهَا يعني أسرعوا إلى التجارة وَتَرَكُوكَ قَائِمًا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: وتركوك يا محمد قائما على المنبر وذلك أن التجارة التي رأوها فانفضَّ القوم إليها، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم قائما كانت زيتا قدم به دحية بن خليفة من الشام. ذكر من قال ذلك:

26403- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك، قال: قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبيع خيشوا أن يسبقوا إليه، قال: فنزلت وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا.

26404- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، قال: حدثنا سفيان، عن السدي، عن قرة إذا نُودِيَ للصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَالَ: جَاءَ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ بِتِجَارَةٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ فِي الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَتَرَكُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجُوا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ.

26405- حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: حدثنا عبثر، قال: حدثنا حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة، فمَرَّتْ غير تحمل الطعام، قال: فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً، فنزلت آية الجمعة.

26406- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فقدمت غير والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها، فخرجوا والنبى صلى الله عليه وسلم قائم، كما قال الله عز وجل.

26407- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قال: جاءت تجارة فانصرفوا إليها، وتركوا النبى صلى الله عليه وسلم قائماً وإذا رأوا لهوا ولعباً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

26408- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْقَضُوا إِلَيْهَا قال: رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة.

26409- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة ثم قام في الجمعة الثانية فجعل يخطبهم قال سفيان: ولا أعلم إلا أن في حديثه وبعظهم ويذكرهم، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم، فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال: «وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اتَّبَعَ أَجْرُكُمْ أَوْلَكُمْ لَأَلْتَهَبَ عَلَيْكُمُ الْوَادِي نَارًا» وأنزل الله عز وجل: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قال: لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي نارا.

قال: ثنا ابن ثور، قال معمر، قال قتادة: لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة معهم.

حدثنا محمد بن عمار الرازي، قال: حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن سالم وأبي سفيان، عن جابر، في قوله وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قال: قدمت غير فانفضوا إليها، ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلاً.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى، قال: حدثنا جابر، عن حصين، عن سالم، عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة، فجاءت غير من الشام، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً، قال: فنزلت هذه الآية في الجمعة وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا.

وأما اللهو، فإنه اختلف من أي أجناس اللهو كان، فقال بعضهم: كان كبراً ومزامير. ذكر من قال ذلك:

26410- حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا يحيى بن صالح، قال: حدثنا سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد

الله، قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يَمْرُون بالكبر والمزامير ويتركون النبي صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر، وينفضون إليها، فأنزل الله وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا.

وقال آخرون: كان طبلًا. ذكر من قال ذلك:

26411- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: اللهو: الطبل.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الأشيب، قال: حدثنا ورقاء، قال: ذكر عبد الله بن أبي نجيح، عن إبراهيم بن أبي بكير، عن مجاهد أن اللهو: هو الطبل. والذي هو أولى بالصواب في ذلك الخبر الذي روينا عن جابر، لأنه قد أدرك أمر القوم ومشاهدتهم.

وقوله: قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد الذي عند الله من الثواب، لمن جلس مستمعاً خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموعظته يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، خير له من اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ يقول: والله خير رازق، فإنه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره.

سورة المنافقون

سورة المنافقون مدنية

وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إذا جاءَكَ المنافقون يا محمد قَالُوا بِالْسُنْتِمْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ قَالَ الْمُنَافِقُونَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَقُولُوا وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد أنك لرسول الله، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك. وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ إنما كذب ضميرهم لأنهم أضمرُوا النفاق، فكما لم يقبل إيمانهم، وقد أظهروه، فكذلك جعلهم كاذبين، لأنهم أضمرُوا غير ما أظهروا.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: اتخذ المنافقون أيمانهم جنة، وهي حلفهم، كما:

26412- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة اتخذوا أيمانهم جنة: أي حلفهم جنة.

26413- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً قال: يجيئون بها، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا.

26414- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً يقول: حلفهم بالله إنهم لمنكم جنة.

وقوله: جُنَّةٌ: سترة يسترون بها كما يستر المستجنّ بجنّته في حرب وقتال، فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم، ويدفعون بها عنها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26415- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة جُنَّةٌ ليعصموا بها دماءهم وأموالهم.

وقوله: فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يقول: فأعرضوا عن دين الله الذي بَعَثَ به نبيه صلى الله عليه وسلم وشريعته التي شرعها لخلقه إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يقول: إن هؤلاء المنافقين الذين اتخذوا أيمانهم جنة ساء ما كانوا يعملون في اتخاذهم أيمانهم جنة، لكذبهم ونفاقهم، وغير ذلك من أمورهم.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جنة من أجل أنهم صدّقوا الله ورسوله، ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به.

وقوله: فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ يقول: فجعل الله على قلوبهم حتما بالكفر عن الإيمان وقد بيّنا في موضع غير هذا صفة الطبع على القلب بشواهدنا، وأقوال أهل العلم، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ يقول تعالى ذكره: فهم لا يفقهون صوابا من خطأ، وحقا من باطل لطبع الله على قلوبهم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

26416- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَقْرَبُوا بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلوبهم منكيرة تآبى ذلك.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَتَى يُؤَفِّكُونَ }.

يقول جلّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ يقول جلّ ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطلقهم منطلق الناس كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول.

وقوله: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يحسب هؤلاء المنافقون من حُبِّهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كلَّ صيحة عليهم، لأنهم على وَجَلٍ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ أَمْرًا يَهْتَكُ بِهِ أَسْتَارَهُمْ وَيُفْضَحَهُمْ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم. يقول الله جلَّ ثَنَاؤُهُ لنبيه صلى الله عليه وسلم: هم العدوُّ يا محمد فاحذرهم، فإنَّ أَلْسِنَتَهُمْ إِذَا لَقُواكُمْ مَعَكُمْ وَقُلُوبُهُمْ عَلَيْكُمْ مَعَ أَعْدَائِكُمْ، فهم عين لأعدائكم عليكم. وقوله: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَيْ يُوْءَقَكُونُ يقول: أخزاهم الله إلى أيِّ وجه يصرفون عن الحق.

26417- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وسمعتَه يقول في قول الله: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ... الآية، قال: هؤلاء المنافقون.

واختلفت القراء في قراءة قوله: كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدٌ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة خلا الأعمش والكسائي: خُشْبٌ بضم الخاء والشين، كأنهم وجهوا ذلك إلى جمع الجمع، جمعوا الخشب خشاباً ثم جمعوا الخشاب خُشْباً، كما جمعت التمرة ثماراً، ثم ثُمراً. وقد يجوز أن يكون الخُشْب بضم الخاء والشين إلى أنها جمع خشبة، فتضم الشين منها مرة وتسكن أخرى، كما جمعوا الأكمة أكماً وأكماً بضم الألف والكاف مرة، وتسكن الكاف منها مرة، وكما قيل: البُذُن والبُذُن، بضم المدال وتسكينها لجمع البدنة، وقرأ ذلك الأعمش والكسائي: «خُشْبٌ» بضم الخاء وسكون الشين.

وللصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان فصيحتان، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتسكين الأوسط فيما جاء من جمع فُعْلة على فُعْل في الأسماء على ألسن العرب أكثر من ذلك كجمعهم البدنة بُدْناً، والأجمة أجماً.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} .

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لوَّوا رؤوسهم، يقول: حرَّكوها وهزَّوها استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وباستغفاره وتشديدها الواو من «لَوَّوا» قرأت القراء على وجه الخبر عنهم أنهم كرَّروا هز رؤوسهم وتحريكها، وأكثروا، إلا نافعاً فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو: «لَوَّوا» على وجه أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة. والصواب من القول في ذلك قراءة من شدد الواو لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ يقول تعالى ذكره: ورَأَيْتَهُمْ يُعْرِضُونَ عما دُعوا إليه وجوههم وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ يقول: وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم وإنما غني بهذه الآيات كلها فيما ذكر عبدُ الله بن أبيِّ ابن سلول، وذلك أنه قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: لَيْنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فسمع بذلك زيد بن أرقم، فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عما أخبر به عنه، فحلف أنه ما قاله، وقيل له: لو أتيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فسألته أن يستغفر لك، فجعل يلوي رأسه ويحرّكه استهزاء، ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه، فأُنزل الله عز وجل فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الأخبار. ذكر الرواية التي جاءت بذلك:

26418- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: خرجت مع عمي في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ قال: فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليّ، فحدثته، فأرسل إلى عبد الله عليّاً رضي الله عنه وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، قال: فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قط فدخلت البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك، قال: حتى أنزل الله عز وجل إذا جاءك المنافقون قال: فبعث إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأها، ثم قال: «إن الله عز وجل قد صدّقك يا زيد».

26419- حدثنا أبو كريب والقاسم بن بشر بن معروف، قال: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا شعبة، قال الحكم: أخبرني، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي قال: سمعت زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي ابن سلول ما قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة قال: سمعته فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك، فلامني ناس من الأنصار، قال: وجاء هو، فحلف ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت قال: فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلغني، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ صَدَّقَكَ وَعَدَرَكَ» قال: فنزلت الآية هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ... الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا هاشم أبو النضر، عن شعبة، عن الحكم، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت زيد بن أرقم يحدث بهذا الحديث.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن محمد بن كعب القرظي، عن زيد بن أرقم، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك، قال: فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذا، قال: فانطلقت فنمت كئيباً أو حزينا، قال: فأرسل إليّ نبي الله صلى الله عليه وسلم، أو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَذْرَكَ وَصَدَّقَكَ»، قال: ونزلت هذه الآية: هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَصُوا... حتى بلغ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ.

26420- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، قال: أخبرني ابن عون، عن محمد، قال: سمعها زيد بن أرقم رفعها إلى وليه، قال: رفعها وليه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقل لزيد: وَقْتُ أَدْنِكَ.

26421- حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، قال: ثني أبي، قال: ثني بشير بن مسلم أنه قيل لعبد الله بن أبي ابن سلول: يا أبا حباب إنه قد أنزل فيك أي شداد، فأذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك، فلوى رأسه وقال: أمرتموني أن أومن فأمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد.

26422- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا... الآية كلها قرأها إلى الفاسيقين أنزلت في عبد الله بن أبي، وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يحلف وتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام، فلاموه وعذّلوه وقيل لعبد الله: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يلوي رأسه: أي لسث فاعلا، وكذب علي، فأنزل الله ما تسمعون.

26423- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ قال: عبد الله بن أبي، قيل له: تعال ليستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلوى رأسه وقال: ماذا قلت؟.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال له قومه: لو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله أسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ يقول: لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ يقول: إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه، الكافرين به، الخارجين عن طاعته. وقد:

26424- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ قال: نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة إِنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زيادة على سبعين مرّة»، فأنزل الله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا} وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ {.

يقول تعالى ذكره هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ يعني الذين يقولون لأصحابهم لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى يَنْفَضُوا يقول: حتى يتفرقوا عنه.

وقوله: وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول: ولله جميع ما في السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يعطي أحدا شيئا إلا بمشيئته وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ أَنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فلذلك يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26425_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا قال: لا تطعموا محمد وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة، فيتركوا نبيهم.

26426_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا قَرَأَهَا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَهَذَا قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَصْحَابِهِ الْمُنَافِقِينَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ حَتَّى يَدْعُوهُ، فَإِنَّكُمْ لَوْ لَا أَنْكُمْ تَنْفِقُونَ عَلَيْهِمْ لَتَرَكَوهُ وَأَجْلَوْا عَنْهُ. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا إِنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُولٍ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنَّكُمْ لَوَلُم تَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ قَدْ أَنْفَضُوا.

26427_ حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا يَعْنِي الرِّفْدَ وَالْمَعُونَةَ، وَلَيْسَ يَعْنِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَالَّذِينَ قَالُوا هَذَا هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

26428_ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: لَمَّا قَالَ ابْنُ أَبِي مَالٍ، قَالَ، أَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ فَحَلَفَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ لِي تَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَذِبِ؟ حَتَّى جَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ مَخَافَةً إِذَا رَأَوْنِي قَالُوا: هَذَا الَّذِي يَكْذِبُ، حَتَّى أَنْزَلَ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم قبل لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فيها، ويعني بالأعزُّ: الأشدُّ والأقوى، قال الله جل ثناؤه: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ يعني: الشدَّة والقوَّة وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذلك.

وذكر أن سبب قيل ذلك عبدُ الله بن أبي كان من أجل أن رجلاً من المهاجرين كَسَعَ رجلاً من الأنصار. ذكر من قال ذلك:

26429- حدثني محمد بن معمر، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا رَمْعَةُ، عن عمرو، قال: سمعت جابر بن عبد الله، قال: إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين، ثم إن المهاجرين كثروا فخرجوا في غزوة لهم، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال: فكان بينهما قتال إلى أن صرخ: يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجر: يا معشر المهاجرين قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما لَكُمْ وَلِدَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ؟» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ»، قال: فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ، فقال عمر: يا رسول الله دعني فأقتله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

26430- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ... إلى وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ قال: قال ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري رأس المنافقين، وناس معه من المنافقين.

26431- حدثني أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم قال: ثني أبي عن عكرمة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول كان يقال له حباب، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقْتُلْ أَبَاكَ عَبْدَ اللَّهِ»، ثم جاء أيضاً فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَقْتُلْ أَبَاكَ»، فقال: يا رسول الله فتوضاً حتى أسقيه من وضوئك لعلَّ قلبه أن يلين، فتوضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه، فذهب به إلى أبيه فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ فقال له والده نعم، سقيتني بول أمك، فقال له ابنه: لا والله، ولكن سقيتك وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عكرمة: وكان عبد الله بن أبي عظيم الشأن فيهم. وفيهم أنزلت هذه الآية في المنافقين: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وهو الذي قال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ قال: فلما بلغوا المدينة، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه، أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ»، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله وذلك في أهل اليمن شديد فنادى المهاجري يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري يا للأنصار قال: والمهاجرون يومئذ أكثر من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ»، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ».

26432- حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا علي بن سليمان، قال: حدثنا أبو إسحاق، أن زيد بن أرقم، أخبره

أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقُضُوا وَقَالَ لَيْنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ قَالَ: فَحَدَّثَنِي زَيْدٌ أَنَّهُ أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي: قَالَ: فَجَاءَ فَحَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَقَالَ لِي زَيْدٌ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي، حَتَّى أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَصْدِيقَ زَيْدٍ، وَتَكْذِيبَ عَبْدِ اللَّهِ فِي إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ.

26433- حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ لَيْنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ قَرَأَ آيَةَ كُلِّهَا إِلَى لَا يَعْلَمُونَ قَالَ: قَدْ قَالَهَا مُنَافِقٌ عَظِيمُ النِّفَاقِ فِي رَجُلَيْنِ اقْتَتَلَا، أَحَدُهُمَا غَفَارِيٌّ، وَالْآخَرُ جُهَنِيٌّ، فَظَهَرَ الْغَفَارِيُّ عَلَى الْجُهَنِيِّ، وَكَانَ بَيْنَ جُهَيْنَةَ وَالْأَنْصَارِ حَلْفٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَهُوَ ابْنُ أَبِي: يَا بَنِي الْأَوْسِ، يَا بَنِي الْخَزْرَجِ، عَلَيْكُمْ صَاحِبُكُمْ وَحَلِيفُكُمْ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا مَثَلْنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: «سَمِّنْ كَلْبُكَ يَأْكُلُكَ»، وَاللَّهُ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ، فَسَعَى بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْ مَعَاذَ بَنِي جَبَلٍ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ». ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: هَلْ يَصْلِي؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَلَا خَيْرَ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ: تُهَيْتَ عَنِ الْمَصْلِينَ، تُهَيْتَ عَنِ الْمَصْلِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: اقْتَتَلَ رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جُهَيْنَةَ، وَالْآخَرُ مِنْ غَفَارٍ، وَكَانَتْ جُهَيْنَةُ حَلِيفَ الْأَنْصَارِ، فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْغَفَارِيُّ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَظِيمُ النِّفَاقِ: عَلَيْكُمْ صَاحِبُكُمْ، عَلَيْكُمْ صَاحِبُكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا مَثَلْنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: «سَمِّنْ كَلْبُكَ يَأْكُلُكَ»، أَمَا وَاللَّهُ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَهُمْ فِي سَفَرٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: مُرْ مَعَاذًا يَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ.

وقوله: لَيْنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ:

26434- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ غُلَامًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ: «فَلَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ قَالَ: «فَلَعَلَّكَ أَخْطَأَ سَمْعُكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ قَالَ: «فَلَعَلَّهُ شُبَّهَ عَلَيْكَ»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقًا لِلْغُلَامِ: لَيْنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَذُنِ الْغُلَامِ، فَقَالَ: «وَقَدْ أَذُنُكَ، وَقَدْ أَذُنُكَ يَا غُلَامٌ».

26435- حَدَّثَنَا يُونُسٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ قَالَ: كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَسْمُونَ الْمُهَاجِرِينَ: الْجَلَابِيبَ وَقَالَ: قَالَ ابْنُ أَبِي: قَدْ أَمَرْتُكُمْ فِي هَؤُلَاءِ الْجَلَابِيبِ أَمْرِي، قَالَ: هَذَا بَيْنَ أَمَجٍ وَغُسْفَانَ عَلَى الْكَدِيدِ تَنَازَعُوا عَلَى الْمَاءِ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ قَدْ غَلَبُوا عَلَى الْمَاءِ قَالَ: وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَيْضًا: أَمَا وَاللَّهُ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ لَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ: لَا تَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ، لَوْ تَرَكْتُمُوهُمْ مَا

وجدوا ما يأكلون، وبخرجوا ويهربوا فأتى عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي؟ قال: «وما ذاك؟» فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: «إذا ترعد له أنف كثيرة يتررب» قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمّر به سعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أكره أن يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ادعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أبي»، فدعاه، فقال: «ألا ترى ما يقول أبوك؟» قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: «يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيتهما به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا» فلما قدما المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أبي علي بابها بالسيف لأبيه ثم قال: أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي يا للخزرج ابني يمنعني بيتي فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال: «ادهبوا إليه، فقولوا له خله ومسكته» فأتوه، فقال: أما إذا جاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم فنعلم.

26436- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة وعلي بن مجاهد، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حبان، قال: كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس فاقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفأهم الله عليه، وقد أصيب رجل من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ، فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد، يقود له فرسه، فازدحم جهجاه وسانان الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن، فقال: قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعذنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال القائل: «سمن كلبك يأكلك»، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضر من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم فسمع ذلك زيد بن أرقم

فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله مَرَّ به عباد بن بشر بن وقش فليقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا، وَلَكِنْ أَدْنُ بِالرَّجِيلِ»، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس، وقد مشى عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قلت ما قال، ولا تكلمت به وكان عبد الله بن أبي في قومه شريفا عظيما، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حدبا على عبد الله بن أبي، ودفعاه عنه فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا رسول الله لقد رُحِتَ في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَوْ مِا بَلَّغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟» قال: فأَيُّ صاحب يا رسول الله؟ قال: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي»، قال: وما قال؟ قال: «رَعِمَ اللَّهُ إِنَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَدْلَ» قال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتّوجّوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكا. ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، ولبثتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياما، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي. ثم راح بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُويق النقيع، يقال له نقعاء فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبّت على الناس ريح شديدة أذتهم وتخوّفوها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَخَافُوا فَإِنَّمَا هَبَّتْ لَمَوْتٍ عَظِيمٍ مِنْ عُظْمَاءِ الْكُفَّارِ» فلما قَدِمُوا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود، وكهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم، فنزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي ابن سلول، ومن كان معه على مثل أمره، فقال: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُذُنِ زَيْدٍ فَقَالَ: «هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهَ بِأُذُنِهِ»، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أبيه.

26437_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً، فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني، وإنني أخشى أن تأمر به غيره فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلْ تَرْفُقُ بِهِ وَتُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا»، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه

ويعنفونه ويتوعدونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرين الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم «كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لَأَرْعَدْتُ لَهُ آتَفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ» قال: فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري.

الآية : 9

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} .
يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ يقول: لا توجب لكم أموالكم ولا أولادكم اللهو عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وهو من ألهيته عن كذا وكذا، فلها هو يلهو لها ومنه قول امرئ القيس:
وَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعِفًا لَهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحُولٍ
وقيل: غُني بذكر الله جل ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس. ذكر من قال ذلك:

26438- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ قال: الصلوات الخمس.
وقوله: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَقُول: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله فأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.

الآية : 10-11

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} .
يقول تعالى ذكره: وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا رَبِّ هَلَا أَخَّرْتَنِي فَنُفِّهَ لِي فِي الْأَجَلِ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ. فأصدق يقول: فأزكي مالي وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ يقول: وأعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك.
وقيل: عنى بقوله وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وأحج بيتك الحرام. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26439- حدثني يونس وسعيد بن الربيع، قال سعيد، حدثنا سفيان، وقال يونس: أخبرنا سفيان، عن أبي جناب عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، قال: ما من أحد يموت ولم يؤد زكاة ماله ولم يحج إلا سأل الكثرة، فقالوا: يا أبا عباس لا تزال تأتينا بالشيء لا نعرفه قال: فأنأ أقرأ عليكم في كتاب الله: وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ قال: أؤدي زكاة مالي وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ قال: أحج.

26440- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي سنان، عن رجل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكثرة فلا يُعطاهَا، فقال رجل: أما تتقي الله، يسأل المؤمن الكثرة؟ قال: نعم، أقرأ عليكم قرآنا، فقرا: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تُلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَقَالَ الرَّجُلُ: فما الذي يوجب عليّ الحجّ، قال: راحلة تحمله، ونفقة تبلغه.

26441- حدثنا عباد بن يعقوب الأسديّ وفضالة بن الفضل، قال عباد: أخبرنا يزيد أبو حازم مولى الضحاك.

وقال فضالة: حدثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم في قوله: لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِزَكَاةٍ مَالِي وَأَكُنُّ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ: الْحَجّ.

26442- حَدَّثَتْ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: لَا تُلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ: هُوَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَلَهُ مَالٌ كَثِيرٌ لَمْ يَزْكِهِ، وَلَمْ يَحْجَّ مِنْهُ، وَلَمْ يَعْطِ مِنْهُ حَقَّ اللَّهِ يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَيَزْكِي مَالَهُ، قَالَ اللَّهُ: وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله لَا تُلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ... إِلَى قَوْلِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَلَهُ مَالٌ لَمْ يَزْكِهِ وَلَمْ يَحْجَّ مِنْهُ، وَلَمْ يَعْطِ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ، فَيَسْأَلُ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيَتَصَدَّقَ مِنْ مَالِهِ وَيَزْكِي، قَالَ اللَّهُ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا.

26443- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ قَاصِدٍ وَأَكْنُ مِنْ الصَّالِحِينَ قَالَ: الزَّكَاةُ وَالْحَجُّ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَأَكْنُ مِنَ الصَّالِحِينَ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةٌ قَرَأَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ غَيْرَ ابْنِ مَحِيصَنٍ وَأَبِي عَمْرٍو: وَأَكْنُ، جَزَمَا عَطَفَا بِهَا عَلَى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ فَأَصَّدَّقَ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ الْفَاءُ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: فَأَصَّدَّقَ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ الْفَاءُ كَانَ جَزَمًا. وَقَرَأَ ذَلِكَ ابْنُ مَحِيصَنٍ وَأَبُو عَمْرٍو: «وَأَكُونُ» بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ وَنَصَبِ «وَأَكُونُ» عَطَفَا بِهِ عَلَى قَوْلِهِ فَأَصَّدَّقَ فَنَصَبَ قَوْلَهُ «وَأَكُونُ» إِذْ كَانَ قَوْلُهُ فَأَصَّدَّقَ نَصْبًا.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُمَا قَرَأَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، فَبِأَيْتَهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وقوله: وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا يَقُولُ: لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ فِي أَجَلٍ أَحَدٍ فِيمَدَّ لَهُ فِيهِ إِذَا حَضَرَ أَجْلُهُ، وَلَكِنَّهُ يَخْتَرِمُهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يَقُولُ: وَاللَّهُ ذُو خُبْرَةٍ وَعِلْمٍ بِأَعْمَالِ عِبِيدِهِ هُوَ بِجَمِيعِهَا مُحِيطٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ بِهَا، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيئَ بِإِسَاءَتِهِ.

سورة التغابن

سورة التغابن مدنية

وآياتها ثمانى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السموات السبع وما في الأرض من خلقه ويعظمه.
 وقوله: لَهُ الْمُلْكُ يقول تعالى ذكره: له ملك السموات والأرض وسلطانه ماض قضاؤه في ذلك نافذ فيه أمره.
 وقوله: وَلَهُ الْحَمْدُ يقول: وله حمد كل ما فيها من خلق، لأن جميع من في ذلك من الخلق لا يعرفون الخير إلا منه، وليس لهم رازق سواه فله حمد جميعهم وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: وهو على كل شيء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء ويعز من يشاء، وبذل من يشاء، لا يتعذر عليه شيء أراده، لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.
 يقول تعالى ذكره: الله الَّذِي خَلَقَكُمْ أيها الناس، وهو من ذكر اسم الله فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ يقول: فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه ومنكم مؤمن يقول: ومنكم مصدق به موقن أنه خالقه أو بارئه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يقول: والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها، فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نهيه، فيسطو بكم.
 26444- حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: حدثنا حسن بن موسى الأشيب، قال: حدثنا ابن لهيعة، قال: حدثنا بكر بن سواده، عن أبي تميم الجيثاني، عن أبي ذرٍّ: «إِنَّ الْمَنِيَّ إِذْ مَكَثَ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، أَتَى مَلِكَ النُّفُوسِ، فَعَرَّجَ بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ فِي رَاحَتِهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ عَبْدِكَ هَذَا ذَكَرَ أَمْ أَشَيْءٌ؟ فَيَقْضِي اللَّهُ إِلَيْهِ مَا هُوَ قَاضٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؟ فَيَكْتُبُ مَا هُوَ لَاقٍ». قال: وقرأ أبو ذرٍّ فاتحة التغابن خمس آيات.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.
 يقول تعالى ذكره: خلق السموات السبع والأرض بالعدل والإنصاف، وصوَّرَكُمْ يقول: ومثلكم فأحسن مثلكم، وقيل: إنه غني بذلك تصويره آدم، وخلقه إياه بيده. ذكر من قال ذلك:
 26445- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ يعني آدم خلقه بيده.
 وقوله: وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يقول: وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.
 يقول تعالى ذكره: يعلم ربكم أيها الناس ما في السموات السبع والأرض من شيء، لا يخفى عليه من ذلك خافية وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ أيها الناس بينكم من قول وعمل وَمَا تُعْلِنُونَ من ذلك فتظهرونه وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يقول جل ثناؤه: والله ذو علم بضماير صدور عباده، وما تنطوي عليه

نفوسهم، الذي هو أخفى من السرِّ، لا يعزب عنه شيء من ذلك. يقول تعالى ذكره لعباده: احذروا أن تسروا غير الذي تعلنون، أو تضمروا في أنفسكم غير ما تُبدونه، فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو محص جميعه، وحافظ عليكم كله.

الآية : 5-6

القول في تأويل قوله تعالى: { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدَأُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم، وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط قَدَأُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ فمُسَّهم عذاب الله إياهم على كفرهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم عذاب مؤلم موجه يوم القيامة في نار جهنم، مع الذي أذاقهم الله في الدنيا وبال كفرهم.

وقوله: ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ يقول: جل ثناؤه: هذا الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم، والذي أعد لهم ربهم يوم القيامة من العذاب، من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات الذي أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه، فقالوا لهم: أَبَشِّرْ يَهُدُونَنَا؟ استكبارا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرا مثلهم واستكبارا عن اتباع الحق من أجل أن بشرا مثلهم دعاهم إليه وجمع الخبر عن البشر، فقل: يهدوننا، ولم يقل: يهديننا، لأن البشر، وإن كان في لفظ الواحد، فإنه بمعنى الجميع.

وقوله: فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا يقول: فكفروا بالله، ووجدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكبارا وَتَوَلَّوْا يقول: وأدبروا عن الحق فلم يقبلوه، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم وَاسْتَغْنَى اللَّهُ يقول: واستغنى الله عنهم، وعن إيمانهم به وبرسله، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ يقول: والله غني عن جميع خلقه، محمود عند جميعهم بجميل أياديه عندهم، وكريم فعاله فيهم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: { رَزَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم. وكان ابن عمر يقول: زعم كنية الكذب.

26446- حدثني بذلك محمد بن نافع البصري، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن بعض أصحابه عن ابن عمر.

وقوله: قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ يقول لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: بلى وربى لتبعثن من قبوركم ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ يقول: ثم لتخبرن بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ يقول: وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: { قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: فصَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَيْهَا الْمَشْرِكُونَ الْمَكْذِبُونَ بالبعث، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم، والنور الذي أنزلنا يقول: وأمنوا بالنور الذي أنزلنا، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها، محصٍ جميعها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ}.

يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون خبير يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ الخلائق للعرض ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ يقول: الجمع يوم عُنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26447- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ قال: هو غِبْنَ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ.

26448- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن: يوم غِبْنَ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ.

26449- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ من أسماء يوم القيامة، عظمه وحذر عبادَه.

وقوله: وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يقول تعالى ذكره: ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته، وينته إلى أمره ونهيه يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ يقول: يمح عنه ذنوبه وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يقول: ويدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار.

وقوله: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا يقول: لاشين فيها أبدا، لا يموتون، ولا يخرجون منها.

وقوله: ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ يقول: خلودهم في الجنات التي وصفنا النجاء العظيم.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَئَسَّ الْمَصِيرُ}.

يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا بأدلته وحججه وآي كتابه الذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يقول: ماكثين فيها أبدا لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها وَئَسَّ الْمَصِيرُ يقول: وئس الشيء الذي يُصَارُ إِلَيْهِ جهنم.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لم يصب أحدا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله، يقول: إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26450- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

26451- حدثني نصر بن عبد الرحمن الوشاء الأودي، قال: حدثنا أحمد بن بشير، عن الأعمش، عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة، فقرأ عنده هذه الآية: وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ فُسِّلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم ذلك ويرضى.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، قال: كنت عند علقمة وهو يعرض المصاحف، فمر بهذه الآية: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ قال: هو الرجل...

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة، في قوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ قال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن مهدي، عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة مثله غير أنه قال في حديثه: فيعلم أنها من قضاء الله، فيرضى بها وبسلم.

وقوله: وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: والله بكل شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون.

الآية : 12-13

القول في تأويل قوله تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَلِيلٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وأطيعوا الله أيها الناس في أمره ونهيه وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فإن توليتم فإن أدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله مستكبرين عنها، فلم تطيعوا الله ولا رسوله فإنما فليس على رسولنا محمد إلا البلاغ المبين أنه بلاغ إليكم لما أرسلته به يقول جل ثناؤه: فقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله ولي الانتقام ممن عصاه، وخالف أمره، وتولى عنه الله لا إله إلا هو يقول جل ثناؤه: معبودكم أيها الناس معبود واحد لا تصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه.

وعلى الله قَلِيلٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدقون بوحدانيته.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} .
يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله إن من أَرْوَاجِكُمْ
وأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ يَصِدُّونَكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، ويثبطونكم عن طاعة الله
وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة، فثبطهم
عن ذلك أزواجهم وأولادهم. ذكر من قال ذلك:

26452- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم وعبيد الله بن موسى،
عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: سأله رجل عن
هذه الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ
قال: هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأوا الناس قد فقهوا في
الدين، هموا أن يعاقبوه، فأنزل الله جل ثناؤه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ
أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ... الآية.

26453- حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن
عكرمة، في قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ
فاحْذَرُوهُمْ قال: كان الرجل يريد أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم،
فيقول له أهله: أين تذهب وتدعنا؟ قال: وإذا أسلم وبقه، قال: لأرجعن إلى
الذين كانوا يبنون عن هذا الأمر فلا فعلن ولا فعلن، فأنزل الله جل ثناؤه: وَإِنْ
تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن
أبيه، عن ابن عباس، قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه
زوجته وولده، ولم يألوا يثبطوه عن ذلك، فقال الله: إنهم عدو لكم
فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا، وامضوا لشأنكم، فكان الرجل بعد ذلك إذا
مُنِعَ وثبط مرَّ بأهله وأقسم، والقسم يمين ليفعلن وليعاقبن أهله في ذلك،
فقال الله جل ثناؤه وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ.

26454- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق،
عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغاين كلها بمكة،
إلا هؤلاء الآيات يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ
فاحْذَرُوهُمْ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فكان إذا
أراد الغزو بكوا إليه ورققوه، فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم، فنزلت: يا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ. الآية كلها
بالمدينة في عوف بن مالك وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

26455- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، في قوله إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ
قال: إنهما يحملانه على قطيعة رحمه، وعلى معصية ربه، فلا يستطيع مع
حبه إلا أن يقطعه.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه.

26456- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ... الآية، قال: منهم من لا يأمر بطاعة الله، ولا ينهى عن معصيته، وكانوا يبطئون عن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجهاد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ قال: ينهون عن الإسلام، ويبطئون عنه، وهم من الكفار فاحذروهم.

26457- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ... الآية، قال: هذا في أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو النفر من الحي، فيخرجون من عشائهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وأبائهم عامدين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتقوم عشائهم وأزواجهم وأولادهم وأبائهم، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم، ولا يؤثروا عليهم غيرهم، فمنهم من يرق ويرجع إليهم، ومنهم من يمضي حتى يلحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم.

26458- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن ناحية وزيد بن حباب، قالوا: حدثنا يحيى بن واضح، جميعا عن الحسين بن واقد، قال: ثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذهما فرفعهما فوضعهما في حجره ثم قال: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ رَأَيْتُ هَذَيْنِ قَلَمَ أَصْبَرَ» ثم أخذ في خطبته اللفظ لأبي كريب عن زيد.

26459- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ قال: يقول: عدو لكم في دينكم، فاحذروهم على دينكم.

26460- حدثني محمد بن عمرو بن عليّ المقدمي، قال: حدثنا أشعث بن عبد الله، قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، في قوله: إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ قال: كان الرجل يسلم، فيلومه أهله وبنوه، فنزلت: إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ.

وقوله: وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا يقول: وإن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدهم إياكم عن الإسلام والهجرة وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب فإن الله غفورٌ رحيمٌ لكم لمن تاب من عباده، من ذنوبكم رحيمٌ بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة، يعني بلاء عليكم في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26461- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ يَقُولُ: بَلَاءٌ.**

وقوله: **وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** يقول: والله عند ثواب لكم عظيم، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم، وأطعتم الله عز وجل، وأديتم حق الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة، كما:

26462- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَهِيَ الْجَنَّةُ.**

وقوله: **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** يقول تعالى ذكره: واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرب إليه ما أطقتم وبلغه وسعكم.

وذكر أن قوله: **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** نزل بعد قوله: **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** تخفيفاً عن المسلمين، وأن قول **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ناسخ قوله: **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**. ذكر من قال ذلك:

26463- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** واسمعوا وأطيعوا هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جل ثناؤه أنزل قبل ذلك: **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَحَقَّ تَقَاتِهِ** أن يُطاع فلا يعصى، ثم خفف الله تعالى ذكره عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: **فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا** فيما استطعت يا ابن آدم، عليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطعتم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** قال: نسختها: **اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**.

وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع وليس في قوله: **فاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** دلالة واضحة على أنه لقوله: **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ناسخ، إذ كان محتملاً قوله: **اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ** فيما استطعتم، ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب استعمالهما جميعاً على ما يحتملان من وجوه الصحة.

وقوله: **واسمعوا وأطيعوا** يقول: واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه **وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ** يقول: وأنفقوا مالاً من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله، والخير في هذا الموضع المال.

وقوله: **وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** يقول تعالى ذكره: ومن يقه الله شح نفسه، وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه. ذكر من قال ذلك:

26464- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني أبو معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ** يقول: هو نفس حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان.

26465- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال، عن ابن مسعود **وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ** قال: أن يعمد إلى مال غيره فيأكله.

وقوله: **فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** يقول: فهؤلاء الذين وقوا شح أنفسهم، المنجحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: وإن تنفقوا في سبيل الله، فتحسنوا فيها النفقة، وتحسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم، فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف يغفر لكم دُنُوبَكُمْ فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله وَاللَّهُ شَكُورٌ يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله حَلِيمٌ يقول: حلیم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ يقول: عالم ما لا تراه أعين عباده ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم الْعَزِيزُ يعني الشديد في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه الْحَكِيمُ في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما يصلحهم.

سورة الطلاق

سورة الطلاق مدنية
وآياتها اثنا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {بِأَيِّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا * فَإِذَا بَلَغَ أَحْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ قَارِفُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا }.

يعني تعالى ذكره بقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ يقول: إذا طلقتم نساءكم فطلقوهن لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن، طاهرا من غير جماع، ولا تطلقوهن بحيضهن الذي لا يعتد به من قُرُئِهِنَّ. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26466- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: الطلاق للعدّة طاهرا من غير جماع.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: بالطهر في غير جماع.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبد الله إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ يقول: إذا طلقتم قال: الطهر في غير جماع.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبد الله قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: طاهرا من غير جماع.

26467- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يرى طلاق السنة طاهرا من غير جماع، وفي كل طهر، وهي العدة التي أمر الله بها.

26468- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنه طلق امرأته مئة، فقال: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، ولم تتق الله فيجعل لك مخرجاً، وقرأ هذه الآية: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وقال: «يا أيها النبي إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ».

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدثنا شعبة، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس بنحوه.

26469- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا أيوب، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً، فسكت حتى ظننا أنه رادّها عليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة، ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس، وإن الله عز وجل قال: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجاً، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، قال الله: «يا أيها النبي إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ قَطَّلُوهُنَّ فِي قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ».

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت مجاهداً يحدث عن ابن عباس في هذه الآية: يا أيها النبي إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال ابن عباس: في قبل عدتهن.

26470- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، أنه قرأ: «قَطَّلُوهُنَّ فِي قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ».

26471- حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: حدثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: طاهرا من غير جماع.

26472- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون بن المغيرة، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، في قوله: قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: طاهرا من غير حيض، أو حاملاً قد استبان حملها.

26473- قال: ثنا هارون، عن عيسى بن يزيد بن دأب، عن عمرو، عن الحسن وابن سيرين، فيمن أراد أن يطلق ثلاث تطليقات جميعاً في كلمة واحدة، أنه لا بأس به بعد أن يطلقها في قبل عدتها، كما أمره الله وكانا يكرهان أن يطلق الرجل امرأته تطليقة، أو تطليقتين، أو ثلاثاً، إذا كان بغير العدة التي ذكرها الله.

26474- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا عون، عن ابن سيرين أنه قال في قوله قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: يطلقها وهي طاهر من غير جماع، أو حبل يستبين حملها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: لَطهرهنَّ. 26475- حدثنا علي بن عبد الأعلى المحاربي، قال: حدثنا المحاربي، عن جوير، عن الضحاك، في قول الله يا أيها النبي إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: العدة: القُرء، والقُرء: الحيض. والطاهر: الطاهر من غير جماع، ثم تستقبل ثلاث حيض.

26476- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يا أيها النبي إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ والعدة: أن يطلقها طاهرا من غير جماع تطليقة واحدة.

26477- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: إذا طهرت من الحيض في غير جماع، قلت: كيف؟ قال: إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى تركتها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم طلقها إذا طهرت الثانية، فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض، فإذا طهرت الثالثة، ثم تعتد حيضة واحدة، ثم تنكح إن شاءت.

26478- قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: وقال ابن طاوس: إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر، قبل أن تمسها تطليقة واحدة، لا ينبغي لك أن تزيد عليها، حتى تخلو ثلاثة قروء، فإن واحدة تبينها.

26479- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ يقول: طلقها طاهرا من غير جماع.

26480- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: إذا طلقها للعدة كان ملكها بيدك. من طلق للعدة جعل الله له في ذلك فسخة، وجعل له ملكا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع.

26481- حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: طاهرا في غير جماع، فإن كانت لا تحيض، فعند غرة كل هلال.

26482- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: طلق امرأتي وهي حائض قال: فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، فقال: «مُرْهُ فَلْيَرَاغِعْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهَرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يُجَامِعَهَا، وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكْهَا، فَإِنَّهَا الْعِدَّةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

قال: ثنا ابن إدريس، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر بنحوه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن مهدي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مُرْهُ فَلْيَرَاغِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهَرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكْهَا، فَبِئْسَ الْوَعْدُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطْلَقَ لَهَا النِّسَاءُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أنه طلق امرأته حائضا، فأتى عمر النبي صلى

الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فأمره أن يراجعها، ثم يتركها حتى إذا طهرت ثم حاضت طلقها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قَهِيَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطْلَقَ لَهَا النِّسَاءُ» يقول: حين يطهرن.

26483- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ يقول: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة، فإن كانت تحيض فعدتها ثلاث حيض، وإن كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملاً، فعدتها أن تضع حملها.

26484- حدثنا ابن البرقيّ، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عبد العزيز، سئل عن قول الله قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ قال: طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته وهي في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع واحدة، ثم يدعها، فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، وإن أراد أن يطلقها ثلاثاً طلقها واحدة في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم يدعها، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره.

وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب طلاقه حفصة. ذكر من قال ذلك:

26485- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر تطليقة، فأنزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ فقيل: راجعها فإنها صوّامة قوّامة، وإنها من نسائك في الجنة. وقوله: وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ يقول: وأحضوا هذه العدة وأقرأها فاحفظوها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26486- حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قوله: وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ قال: احفظوا العدة. وقوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ يقول: وخافوا الله أيها الناس ربكم فاحذروا معصيته أن تتعدّوا حده، لا تخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق حتى تنقضي عدتهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26487- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ حتى تنقضي عدتهن.

26488- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال عطاء: إن أذن لها أن تعتدّ في غير بيته، فتعتدّ في بيت أهلها، فقد شاركها إذن في الإثم. ثم تلا: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: قلت هذه الآية في هذه؟ قال: نعم.

26489- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا حيوة بن شريح، عن محمد بن عجلان، عن نافع، أن عبد الله بن عمر كان يقول في هذه الآية لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: خروجها قبل انقضاء العدة. قال ابن عجلان عن زيد بن أسلم: إذا أتت بفاحشة أخرجت.

26490- وحدثنا علي بن عبد الأعلى المحاربي، قال: حدثنا المحاربي، عبد الرحمن بن محمد، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: ليس لها أن تخرج إلا بإذنه، وليس للزوج أن يخرجها ما كانت في العدة، فإن خرجت فلا سُكْنَى لها ولا نفقة.

26491- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ قال: هي المطلقة لا تخرج من بيتها، ما دام لزوجها عليها رجعة، وكانت في عدة.

26492- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ وذلك إذا طلقها واحدة أو ثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثاً.

وقوله: وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يقول جل ثناؤه: لا تخرجوهنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ إنها فاحشة لمن عاينها أو علمها.

واختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرت في هذا الموضع، والمعنى الذي من أجله أذن الله بإخراجهنَّ في حال كونهنَّ في العدة من بيوتهنَّ، فقال بعضهم: الفاحشة التي ذكرها الله في هذا الموضع هو الزنى، والإخراج الذي أباح الله هو الإخراج لإقامة الحدِّ. ذكر من قال ذلك:

26493- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: الزنى، قال: فَتُخْرَجَ لِيُقَامَ عَلَيْهَا الحدُّ. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، مثله.

26539- حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُليّة، عن صالح بن مسلم، قال: سألت عامراً قلت: رجل طلق امرأته تطليقة أخرجها من بيتها؟ قال: إن كانت زانية.

26540- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: إلا أن يزني.

26541- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عز وجل: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: قال الله جل ثناؤه: وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ قال: هؤلاء المحصنات، فاستشهدوا عليهنَّ أربعةٌ منكم... الآية. قال: فجعل الله سبيلهنَّ الرجم، فهي لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها إلا أن تأتي بفاحشة مبينة، فإذا أتت بفاحشة مبينة أخرجت إلى الحدِّ فرجمت، وكان قبل هذا للمحصنة الحبس تحبس في البيوت لا تترك تنكح، وكان للبكرين الأذى، قال الله جل ثناؤه: وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمُ فَادُّوهُمَا بِمَا زَانَ، يا زانية، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً قال: ثم نسخ هذا كله، فجعل الرجم للمحصنة والمحصن، وجعل جلد مئة للبكرين، قال: ونسخ هذا.

وقال آخرون: الفاحشة التي عناها الله في هذا الموضع: البذاء على أحمائها. ذكر من قال ذلك:

26494- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن محمد بن إبراهيم، عن ابن عباس قال الله: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: الفاحشة المبينة أن تَبْذُوهَا عَلَى أَهْلِهَا.

وقال آخرون: بل هي كل معصية لله. ذكر من قال ذلك:

26495- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ والفاحشة: هي المعصية.

وقال آخرون: بل ذلك نشوزها على زوجها، فيطلقها على النشوز، فيكون لها التحول حينئذ من بيتها. ذكر من قال ذلك:

26496- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال قتادة: إِلَّا أَنْ يَطْلُقَهَا عَلَى نَشُوزٍ، فَلَهَا أَنْ تَحُولَ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا.

وقال آخرون: الفاحشة المبينة التي ذكر الله عز وجل في هذا الموضع خروجها من بيتها. ذكر من قال ذلك:

26497- حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: خروجها من بيتها فاحشة. قال بعضهم: خروجها إذا أتت بفاحشة أن تخرج فيقام عليها الحد.

26498- حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا سعيد بن الحكم ابن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب قال: ثني محمد بن عجلان، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ قال: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة.

والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عني بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية، وذلك أن الفاحشة هي كل أمر قبيح تعدى فيه حده، فالزنى من ذلك، والسرقة والبذاء على الأحماء، وخروجها متحولة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتد فيه منه، فأَيُّ ذَلِكَ فعلت وهي في عدتها، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبته.

وقوله: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وهذه الأمور التي بينتها لكم من الطلاق للعدة، وإحصاء العدة، والأمر باتقاء الله، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ حدود الله التي حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه: يقول: فقد أكسب نفسه وزرا، فصار بذلك لها ظالما، وعليها متعديا. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26499- حدثنا علي بن عبد الأعلى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن جوير، عن الضحاك في قول الله وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَقُولُ: تلك طاعة الله فلا تعتدوها، قال: يقول: من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه.

وقوله: لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا يقول جل ثناؤه: لا تدري ما الذي يحدث؟ لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهن رجعة. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26500- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبي حفص المخزومي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا علي بعض اليمن، فخرج معه، فبعث إليها بتطليقة كانت لها، وأمر عياش بن أبي ربيعة المخزومي، والحارث بن هشام أن ينفقا عليها، فقالا: لا والله ما لها علينا نفقة، إلا أن تكون حاملاً، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملاً، واستأذنته في الانتقال، فقالت: أين أنتقل يا رسول الله؟ قال: «عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»، وكان أعمى، تضع ثيابها عنده، ولا يبصرها فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد حين مضت عدتها، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث، فأخبرته، فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة، وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها، فقالت فاطمة: بيني وبينكم الكتاب، قال الله جل ثناؤه: قَطَّلُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ حتى بلغ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا قالت: فأَيُّ أمر يحدث بعد الثلاث، وإنما هو في مراجعة الرجل امرأته، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة؟

26501- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا قال: هذا في مراجعة الرجل امرأته. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا: أي مراجعة.

26502- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا قال: يراجعها في بيتها هذا في الواحدة والثنتين، هو أبعد من الزنى.

26503- قال: سعيد، وقال الحسن: هذا في الواحدة والثنتين، وما يحدث الله بعد الثلاث.

26504- حدثنا يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أيوب، قال: سمعت الحسن وعكرمة يقولان: المطلقة ثلاثا، والمتوفى عنها لا سكنى لها ولا نفقة قال: فقال عكرمة لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فقال: ما يحدث بعد الثلاث.

26505- حدثنا علي بن عبد الأعلى المحاربي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن جوير، عن الضحاك في قوله: لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا يقول: لعل الرجل يراجعها في عدتها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا هذا ما كان له عليها رجعة.

26506- حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا قال: الرجعة.

26507- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا قال: لعل الله يحدث في قلبك تراجع

زوجتك قال: قال: ومن طلق للعدة جعل الله له في ذلك فسحة، وجعل له ملكا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع.

26508- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان لعل الله يُخَدِّثَ بَعْدَ ذَلِكَ أُمْرًا قال: لعله يراجعها.

وقوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ يقول تعالى ذكره: فإذا بلغ المطلقات اللواتي هنَّ في عدة أجلهنَّ وذلك حين قرب انقضاء عددهنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ يقول: فَأَمْسِكُوهُنَّ برجة تراجعوهن، إن أردتم ذلك بمعروف يقول: بما أمرك الله به من الإمساك وذلك باعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة، أو فارقوهنَّ بمعروف، أو اتركوهنَّ حتى تنقضي عددهنَّ، فتبين منكم بمعروف، يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليها لها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26509- حدثني علي بن عبد الأعلى، قال: ثني المحاربي عبد الرحمن بن محمد، عن جوير، عن الضحاك، قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ يقول: إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض، يقول: فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضي العدة بإمساك بمعروف، والمعروف أن تحسن صحبتها أو تسريح بإحسان والتسريح بإحسان: أن يدعها حتى تمضي عدتها، ويعطيها مهرا إن كان لها عليه إذا طلقها، فذلك التسريح بإحسان، والمتعة على قدر الميسرة.

26510- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ قال: إذا طلقها واحدة أو ثنتين، يشاء أن يمسكها بمعروف، أو يسرحها بإحسان.

وقوله: وَأَشْهَدُوا دَوِّي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَشْهَدُوا عَلَى الْإِمْسَاكِ إن أمسكتموهنَّ، وذلك هو الرجعة ذوي عدل منكم، وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما. وقد بينا فيما مضى قبل معنى العدل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وذكرنا ما قال أهل العلم فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26511- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها، أشهد رجلين كما قال الله: وَأَشْهَدُوا دَوِّي عَدْلٍ مِنْكُمْ عند الطلاق وعند المراجعة، فإن راجعها فهي عنده على تطليقتين، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة، وهي أملك بنفسها، ثم تتزوج من شاءت، هو أو غيره.

26512- حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: وَأَشْهَدُوا دَوِّي عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: على الطلاق والرجعة.

وقوله: وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ يقول: وأشهدوا على الحق إذا استشهدتم، وأدوها على صحة إذا أنتم دُعيتم إلى أدائها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26513- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ قال: أشهدوا على الحق.

وقوله: ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به، وعزفتكم من أمر الطلاق، والواجب لبعضكم على

بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فيصدق به.

وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ مِنْ كَانَتْ صِفَتُهُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، كَالَّذِي:
26514- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ
مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ: يُؤْمِنُ بِهِ.

وقوله: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَنْ يَخَفُ اللَّهَ
فَيَعْمَلُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَيَجْتَنِبُ مَا نَهَا عَنْهُ، يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجًا بَأَن
يَعْرِفُهُ بَأَن مَا قَضَى فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطْلُقَ إِذَا طُلِقَ، كَمَا
نَدَبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ لِلْعَدَّةِ، وَلَمْ يَرَاغِعْهَا فِي عِدَّتِهَا حَتَّى انْقَضَتْ ثُمَّ تَتَّبِعُهَا نَفْسُهُ،
جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا فِيمَا تَتَّبِعُهَا نَفْسُهُ، بَأَن جَعَلَ لَهُ السَّبِيلَ إِلَى خُطْبَتِهَا
وَنِكَاحِهَا، وَلَوْ طَلَّقَهَا ثَلَاثًا لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ.

وقوله: وَيَزُرُّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ يَقُولُ: وَيَسَبِّبُ لَهُ أَسْبَابَ الرِّزْقِ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَلَا يَعْلَمُ. وَنَحْوُ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَذَكَرَ
بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذِهِ آيَةُ نَزَلَتْ بِسَبَبِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ
ذَلِكَ:

26515- حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا ابن صُلَْت، عن قيس، عن الأعمش،
عن أبي الضحى، عن مسروق عن عبد الله، في قوله: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا قَالَ: يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَعْطِي وَيَمْنَعُ.

26516- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن
الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا قَالَ:
الْمَخْرَجُ أَنَّ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَيَزُرُّهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ: مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي.

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى،
عن مسروق، مثله.

26517- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ،
عن ابن عباس، قوله: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا يَقُولُ: نَجَاتُهُ مِنْ كُلِّ
كَرْبٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَزُرُّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

26518- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن
الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
قَالَ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ضَاقَ عَلَى النَّاسِ.

26519- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين،
عن يزيد، عن عكرمة وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا قَالَ: مَنْ طَلَّقَ كَمَا
أَمَرَهُ اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا.

26520- حدثني عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ، قال: حدثنا عبد الرحمن
بن محمد المحاربيّ، عن جوير، عن الضحاك في قوله وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، قَالَ: يَعْنِي بِالْمَخْرَجِ
وَالْيُسْرِ إِذَا طُلِقَ وَاحِدَةٌ ثُمَّ سَكَتَ عَنْهَا، فَإِنْ شَاءَ رَاجِعُهَا بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ
عَدْلَيْنِ، فَذَلِكَ الْيُسْرُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ، وَإِنْ مَضَتْ عِدَّتُهَا وَلَمْ يَرَاغِعْهَا، كَانَ
خَاطِبًا مِنَ الْخُطَابِ، وَهَذَا الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَهَكَذَا طَلَاَقُ السَّنَةِ فَأَمَّا مَنْ
طَلَّقَ عِنْدَ كُلِّ حَيْضَةٍ فَقَدْ أَخْطَأَ السَّنَةَ، وَعَصَى الرَّبَّ، وَأَخْذَ بِالْعُسْرِ.

26521- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ،
في قوله: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا قَالَ: يَطْلُقُ لِلْسَّنَةِ، وَبَرَّاجِعِ لِلْسَّنَةِ

زعم أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له عوف الأشجعي، كان له ابن، وأن المشركين أسروه، فكان فيهم، فكان أبوه يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فيشكوا إليه مكان ابنه، وحالته التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له: «إن الله سيجعل له مخرجاً»، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً إذا انفلت ابنه من أيدي العدو، فمَرَّ بغنم من أغنام العدو فاستاقها، فجاء بها إلى أبيه، وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم، فنزلت هذه الآية: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

26522- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن عمار بن أبي معاوية الدهني، عن سالم بن أبي الجعد، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً قال: نزلت في رجل من أشجع جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجهود، فسأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أتق الله وأصبر»، قال: قد فعلت، فأتى قومه، فقالوا: ماذا قال لك؟ قال: «أتق الله واصبر»، فقلت: قد فعلت حتى قال ذلك ثلاثاً، فرجع فإذا هو بابنه كان أسيراً في بني فلان من العرب، فجاء معه بأعنز، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن ابني كان أسيراً في بني فلان، وإنه جاء بأعنز، فطابت لنا؟ قال: «نعم».

قال: ثنا حكام، قال: حدثنا عمرو، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد في قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً قال: نزلت في رجل من أشجع أصابه الجهد، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «أتق الله وأصبر»، فرجع فوجد ابناً له كان أسيراً، قد فكه الله من أيديهم، وأصاب أعنزاً، فجاء، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تطيب لي يا رسول الله؟ قال: «نعم».

26523- قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن المنذر الثوري، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم يجعل له مخرجاً قال: من كل شيء ضاق على الناس.

26524- قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق يجعل له مخرجاً قال: يعلم أن الله إن شاء منعه، وإن شاء أعطاه ويرزقه من حيث لا يحتسب يقول: من حيث لا يدري.

26525- قال: ثنا مهران، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة يجعل له مخرجاً قال: من شبهات الأمور، والكرب عند الموت ويرزقه من حيث لا يحتسب: من حيث لا يرجو ولا يؤمل.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ويرزقه من حيث لا يحتسب لا يأمل ولا يرجو.

وقوله: ومن يتوكل على الله فهو حسبه يقول تعالى ذكره: ومن يتق الله في أموره، ويفوضها إليه فهو كافيه.

وقوله: إن الله بالغ أمره منقطع عن قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه. ومعنى ذلك: إن الله بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26526- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره توكل عليه أو لم يتوكل عليه، غير أن المتوكل يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً.

حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق بن حوّه.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن صلت عن قيس، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله ومَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ قال: ليس بمتوكل الذي قد قُضِيَتْ حاجته، وجعل فضل من توكل عليه على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته، ويُعْظَمَ له أجرا.

26527- قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الشعبي، قال: تجالس سُتَيْر بن شكل ومسروق، فقال سُتَيْر: إما أن تَحْدِثَ ما سمعت من ابن مسعود فأصدِّقك، وإما أن أحدث فتصدِّقني؟ قال مسروق: لا بل حَدِّثْ فأصدِّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوُّضا: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ قال مسروق: صدقت.

وقوله: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا يقول تعالى ذكره: قد جعل الله لكل شيء من الطلاق والعدة وغير ذلك حداً وأجلاً وقدرا يُنتهى إليه. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26528- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا قال: أجلاً. حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا قال: منتهى.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق مثله.

26529- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا قال: الحيض في الأجل والعدة.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نَسِيَئَكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا }.

يقول تعالى ذكره: والنساء اللاتي قد ارتفع طمعهن عن المحيض، فلا يرجون أن يحضن من نسائكم إن ارتبتم.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: إِنْ ارْتَبْتُمْ فقال بعضهم: معنى ذلك: إن ارتبتم بالدم الذي يظهر منها لكبرها، أمن الحيض هو، أم من الاستحاضة، فعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر. ذكر من قال ذلك:

26530- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: إِنْ ارْتَبْتُمْ إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا الَّتِي قَعَدَتْ عَنِ الْحِيضَةِ، والتي لم تحض، فعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر.

26531- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، إِنْ ارْتَبْتُمْ قال: في كبرها أن يكون ذلك من الكبر، فإنها تعتد حين ترتب ثلاثة أشهر فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة، فإنه يتأني بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل؟ فإن استبان حملها، فأجلها أن تضع حملها، فإن لم يستبين حملها، فحتى يستبين بها، وأقصى ذلك سنة.

26532- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ قَالَ: إِنْ ارْتَبْتَ أَنَّهَا لَا تَحِيضُ وَقَدْ ارْتَفَعَتْ حَيْضَتُهَا، أَوْ ارْتَابَ الرِّجَالُ، أَوْ قَالَتْ هِيَ: تَرَكْتَنِي الْحَيْضَةَ، فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ إِنْ ارْتَابَ، فَلَوْ كَانَ الْحَمْلُ انْتَبَظَ الْحَمْلَ حَتَّى تَنْقُضِي تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، فَخَافَ وَارْتَابَ هُوَ، وَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْحَيْضَةُ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمَةٍ أَنْ تَحْبَسَ، فَاعْتَدْتُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَجَعَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ أَيْضًا لِلَّتِي لَمْ تَحْضِ الصَّغِيرَةُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

26533- حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: أخبرنا أبو معبد، قال: سئل سليمان عن المرتابة، قال: هي المرتابة التي قد قعدت من الولد تطلق، فتحيض حيضة، فيأتي إبان حيضتها الثانية فلا تحيض قال: تعتد حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة قال: فإن حاضت حيضتين ثم جاء إبان الثالثة فلم تحض اعتدت حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة، ولم يعتد بما مضى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إِنْ ارْتَبْتُمْ بِحُكْمِهِنَّ فَلَمْ تَدْرُوا مَا الْحُكْمُ فِي عِدَّتِهِنَّ، فَإِنْ عِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ذكر من قال ذلك:

26534- حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا مطرف، عن عمرو بن سالم، قال: قال أبي بن كعب: يا رسول الله إِنْ عِدَا مِنْ عِدِّ النِّسَاءِ لَمْ تَذَكَّرْ فِي الْكِتَابِ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ، وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَصْعَنَّ حَمْلَهُنَّ.

وقال آخرون: معنى ذلك: إِنْ ارْتَبْتُمْ مِمَّا يَظْهَرُ مِنْهُنَّ مِنَ الدَّمِ، فَلَمْ تَدْرُوا أَدَمَ حَيْضٌ، أَمْ دَمٌ مُسْتَحَاضَةٌ مِنْ كِبَرٍ كَانَ ذَلِكَ أَوْ عِلَّةٌ؟ ذكر من قال ذلك:

26535- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن عكرمة، قال: إِنْ مِنَ الرِّبَةِ: الْمَرْأَةُ الْمُسْتَحَاضَةُ، وَالَّتِي لَا يَسْتَقِيمُ لَهَا الْحَيْضُ، تَحِيضُ فِي الشَّهْرِ مَرَارًا، وَفِي الْأَشْهُرِ مَرَّةً، فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: غُيِّبَ بِذَلِكَ: إِنْ ارْتَبْتُمْ فَلَمْ تَدْرُوا مَا الْحُكْمُ فِيهِنَّ، وَذَلِكَ أَنْ مَعْنَى ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ: إِنْ ارْتَبْتُمْ بِدَمَائِهِنَّ فَلَمْ تَدْرُوا أَدَمَ حَيْضٌ، أَوْ مُسْتَحَاضَةٌ؟ لَقِيلَ: إِنْ ارْتَبْتُمْ لِأَنَّهُنَّ إِذَا أَشْكَلَ الدَّمُ عَلَيْهِنَّ فَهِنَّ الْمُرْتَابَاتُ بِدَمَاءِ أَنْفُسِهِنَّ لَا غَيْرِهِنَّ، وَفِي قَوْلِهِ: إِنْ ارْتَبْتُمْ وَخَطَابُهُ الرِّجَالُ بِذَلِكَ دُونَ النِّسَاءِ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ: إِنْ ارْتَبْتُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ بِالْحُكْمِ فِيهِنَّ وَأُخْرَى وَهُوَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ قَالَ: وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ وَالْيَائِسَةُ مِنَ الْمَحِيضِ هِيَ الَّتِي لَا تَرْجُو مَحِيضًا لَكَبِيرٍ، وَمَحَالٌ أَنْ يَقَالَ: وَاللَّائِي يَنْسَنَ، ثُمَّ يَقَالَ: ارْتَبْتُمْ بِيَأْسِهِنَّ، لِأَنَّ الْيَأْسَ: هُوَ انْقِطَاعُ الرَّجَاءِ وَالْمُرْتَابُ بِيَأْسِهَا مَرْجُوٌّ لَهَا، وَغَيْرُ جَائِزٍ ارْتِفَاعُ الرَّجَاءِ وَوُجُودُهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا كَانَ الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قُلْنَا، فَيَبِينُ أَنَّ تَأْوِيلَ الْآيَةِ: وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ بِالْحُكْمِ فِيهِنَّ، وَفِي عِدَّتِهِنَّ، فَلَمْ تَدْرُوا مَا هُنَّ، فَإِنْ حُكِمَ عِدَّتُهُنَّ إِذَا طَلَقْنَ، وَهُنَّ مِمَّنْ دَخَلَ بِهِنَّ أَزْوَاجُهُنَّ، فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنَّ يَقُولُ: وَكَذَلِكَ عِدُّ اللَّائِي لَمْ يَحْضَنَّ مِنَ الْجَوَارِي لِصُغَرِ إِذَا طَلَقَهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ بَعْدَ الدُّخُولِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذكر من قال ذلك:

26536- حدثنا محمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في قوله: وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ يقول: التي قد ارتفع حيضها، فعدتها ثلاثة أشهر واللّائي لَمْ يَحْضَنْ قال: الجوّاري.

26537- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ وهنّ اللواتي قعدن من المحيض فلا يحضن، واللّائي لم يحضن هنّ الأبقار التي لم يحضن، فعدتهنّ ثلاثة أشهر.

26538- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ... الآية، قال: القواعد من النساء واللّائي لَمْ يَحْضَنْ: لم يبلغن المحيض، وقد مُسِسْنَ، عدتهنّ ثلاثة.

وقوله: وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ في انقضاء عدتهنّ أن يضعن حملهنّ، وذلك إجماع من جميع أهل العلم في المطلقة الحامل، فاما في المتوفي عنها ففيها اختلاف بين أهل العلم.

وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى من كتابنا هذا، وسنذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك.

ذكر من قال: حكم قوله وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ عام في المطلقات والمتوفي عنهنّ.

26539- حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: حدثنا سعيد ابن أبي مريم، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: ثني ابن شبرمة الكوفي، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قيس أن ابن مسعود قال: من شاء لاعنته، ما نزلت: وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ إلا بعد آية المتوفي عنها زوجها، وإذا وضعت المتوفي عنها فقد حلت يريد بآية المتوفي عنها: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مالك، يعني ابن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن أيوب، عن ابن سيرين عن أبي عطية قال: سمعت ابن مسعود يقول: من شاء قاسمته نزلت سورة النساء القُصْرَى بعدها، يعني بعد أربعة أشهر وعشرا.

26540- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد، قال: لقيت أبا عطية مالك بن عامر، فسألته عن ذلك، يعني عن المتوفي عنها زوجها إذا وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر، فأخذ يحدثني بحديث سُبَيْعَة، قلت: لا، هل سمعت من عبد الله في ذلك شيئا؟ قال: نعم، ذكرت ذات يوم أو ذات ليلة عند عبد الله، فقال: أرايت إن مضت الأربعة الأشهر والعشر ولم تضع أقد أحلت؟ قالوا: لا، قال: أفتجعلون عليها التّغْلِيظَ، ولا تجعلون لها الرخصة، فوالله لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الطولى.

26541- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليّة، عن ابن عون، قال: قال الشعبي: من شاء حالفته لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الأربعة الأشهر والعشر التي في سورة البقرة.

26542- حدثني أحمد بن منيع، قال: حدثنا محمد بن عبيد، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: ذكر عبد الله بن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي أنزلت في النساء

الْقُصْرَى نزلت بعد الأربعة الأشهر، ثم قال: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها.

/ 26543- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مُغيرة، قال: قلت للشعبي: ما أصدّق أن عليا رضي الله عنه كان يقول: آخر الأجلين أن لا تنزّج المتوفي عنها زوجها حتى يمضي آخر الأجلين قال الشعبي: بلى وصدق أشد ما صدقت بشيء قط وقال علي رضي الله عنه: إنما قوله وأولات الأحمال أجلهن أن يصغرن حملهن المطلقات، ثم قال: إن عليا رضي الله عنه وعبد الله كانا يقولان في الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها.

26544- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب، قال: لما نزلت هذه الآية: وأولات الأحمال أجلهن أن يصغرن حملهن قال: قلت: يا رسول الله، المتوفي عنها زوجها والمطلقة، قال: «تعم».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مالك بن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن عبد الكريم بن أبي المخارق، يحدث عن أبي بن كعب، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وأولات الأحمال أجلهن أن يصغرن حملهن قال: «أجل كل حامل أن تصغ ما في بطنها».

26545- حدثني محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، قوله وأولات الأحمال أجلهن أن يصغرن حملهن قال: للمرأة الحبل التي يطلقها زوجها وهي حامل، فعدتها أن تضع حملها.

26546- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وأولات الأحمال أجلهن أن يصغرن حملهن فإذا وضعت ما في رحمها فقد انقضت عدتها، ليس المحيض من أمرها في شيء إذا كانت حاملا. وقال آخرون: ذلك خاص في المطلقات، وأما المتوفي عنها فإن عدتها آخر الأجلين، وذلك قول مروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهما. وقد ذكرنا الرواية بذلك عنهما فيما مضى قبل.

والصواب من القول في ذلك أنه عام في المطلقات والمتوفي عنهن، لأن الله جل وعز، عم بقوله بذلك فقال: وأولات الأحمال أجلهن أن يصغرن حملهن ولم يخص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفي عنها، بل عم الخبر به عن جميع أولات الأحمال. إن ظن ظان أن قوله وأولات الأحمال أجلهن أن يصغرن حملهن في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفي عنهن، فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهن، وعن المتوفي عنهن، فإن الأمر بخلاف ما ظن، وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهن وغير المطلقات، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل، فهو على عمومته لما بينا.

وقوله: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا يقول جل ثناؤه: ومن يخف الله فرهته، فاجتنب معاصيه، وأدّى فرائضه، ولم يخالف إذنه في طلاق امرأته، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسرا، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت في عدتها وإن انقضت عدتها، ثم دعه نفسه إليها قدر على خطبتها.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}.
يقول تعالى ذكره: هذا الذي بَيَّنْتُ لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدة، أمر الله الذي أمركم به، أنزله إليكم أيها الناس، لتأتمروا له، وتعملوا به.

وقوله: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ يقول: ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا يقول: ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه، ومن إعظامه له الأجر عليه أن يدخله جنته، فيخلده فيها.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: {أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِئَلَّا يُصَيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَلْيَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا رِبَّيْنَكُمْ بِمَعْرِفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَاسْتَزِغْ لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}.

يقول تعالى ذكره: أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم من وَجْدِكُمْ: يقول: من سعته التي تجدون وإنما أمر الرجال أن يعطوهم مسكنًا يسكنه مما يجدونه، حتى يقضين عِدَّتهنَّ. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26547- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: {أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ} يقول: من سعته.

26548- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: {مِنْ وَجْدِكُمْ} قال: من سعته.

26549- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ} قال: من سعته.

26550- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، قوله: {أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِئَلَّا يُصَيِّقُوا عَلَيْهِمْ} فإن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه.

26551- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله: {أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ} قال: المرأة يطلقها، فعليه أن يسكنها، وينفق عليها.

26552- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسأله عن قول الله عز وجل: {أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ} قال: من مقدرتك حيث تقدر، فإن كنت لا تجد شيئا، وكنت في مسكن ليس لك، فجاء أمر أخرجك من المسكن، وليس لك مسكن تسكن فيه، وليس تجد فذاك، وإذا كان به قوة على الكراء فذاك وجده، لا يخرجها من منزلها، وإذا لم يجد وقال صاحب المسكن: لا أنزل هذه في بيتي فلا، وإذا كان يجد، كان ذلك عليه.

وقوله: وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِئَلَّا يُصَيِّقُوا عَلَيْهِمْ يقول جل ثناؤه: ولا تضاروهم في المسكن الذي تسكنونهم فيه، وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا

التضييق عليهنّ، فذلك قوله لِيُضَيِّقُوا عَلَيْنَهُنَّ يعني: لتضييقوا عليهنّ في المسكن مع وجودكم السعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26553- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ولا تُضَارَّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْنَهُنَّ قال: في المسكن.

26554- حدثني محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: مِنْ وَجْدِكُمْ قال: من ملككم، من مقدرتكم. وفي قوله ولا تُضَارَّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْنَهُنَّ قال: لتضييقوا عليهنّ مساكنهنّ حتى يخرجن.

26555- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان ولا تُضَارَّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْنَهُنَّ قال: ليس ينبغي له أن يضارّها ويضيق عليها مكانها حتى يضعن حملهنّ هذا لمن يملك الرجعة، ولمن لا يملك الرجعة.

وقوله: وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْنَهُنَّ حَتَّى يَصْغَرَ حَمْلُهُنَّ يقول تعالى ذكره: وَإِنْ كَانَ نِسَاؤُكُمْ الْمُطَّلَقَاتِ أُولَاتٍ حَمْلٍ وَكُنَّ بِأَنْفَاتٍ مِنْكُمْ، فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ فِي عَدْتِهِنَّ مِنْكُمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26556- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْنَهُنَّ حَتَّى يَصْغَرَ حَمْلُهُنَّ فهذه المرأة يطلقها زوجها، فيبّط طلاقها وهي حامل، فيأمره الله أن يسكنها، وينفق عليها حتى تضع، وإن أرضعت فحتى تطفم، وإن أبا ن طلاقها، وليس بها حمل، فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة، وكذلك المرأة يموت عنها زوجها، فإن كانت حاملا أنفق عليها من نصيب ذي بطنها إذا كان ميراث، وإن لم يكن ميراث أنفق عليها الوارث حتى تضع وتطفم ولدها كما قال الله عزّ وجلّ: وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَامِلًا، فَإِنْ نَفَقْتَهَا كَانَتْ مِنْ مَالِهَا.

26557- حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْنَهُنَّ حَتَّى يَصْغَرَ حَمْلُهُنَّ قال: ينفق على الحبلَى إذا كانت حاملا حتى تضع حملها.

وقال آخرون: غُني بقوله: وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْنَهُنَّ حَتَّى يَصْغَرَ حَمْلُهُنَّ كلّ مطلقة، ملك زوجها رجعتها أو لم يملك. وممن قال ذلك: عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. ذكر الرواية عنهما بذلك:

26558- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: كان عمرو وعبد الله يجعلان للمطلقة ثلاثا: السكنى، والنفقة، والمتعة. وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتدّ في غير بيت زوجها، قال: ما كنا لنجيز في ديننا شهادة امرأة.

26559- حدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ، قال: حدثنا يحيى بن إبراهيم، عن عيسى بن قرطاس، قال: سمعت عليّ بن الحسين يقول في المطلقة ثلاثا: لها السكنى، والنفقة، والمتعة، فإن خرجت من بيتها فلا سكنى ولا نفقة ولا متعة.

26560- حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حدثنا ابن فضيل، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: للمطلقة ثلاثا: السكنى والنفقة.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن حماد، عن إبراهيم، قال: إذا طلق الرجل ثلاثاً، فإن لها السكنى والنفقة. والصواب من القول في ذلك عندنا أن لا نفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملاً، لأن الله جل ثناؤه جعل النفقة بقوله وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ للحوامل دون غيرهن من البائئات من أزواجهن ولو كان البوائن من الحوامل وغير الحوامل في الواجب لهن من النفقة على أزواجهن سواء، لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر في هذا الموضع وجه مفهوم، إذ هن وغيرهن في ذلك سواء، وفي خصوصهن بالذكر دون غيرهن أدل الدليل على أن لا نفقة لبائئن إلا أن تكون حاملاً. وبالذي قلنا في ذلك صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

26561- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير، قال: ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، قال: حدثني فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أن أبا عمرو المخزومي، طلقها ثلاثاً فأمر لها بنفقة فاستقلتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه نحو اليمن، فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند ميمونة، فقال: يا رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثاً، فهل لها من نفقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ لَهَا تَقَقَّةٌ»، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن «انتقلي إلى بيت أمّ شريك» وأرسل إليها «أن لا تسبقيني بنفسك»، ثم أرسل إليها «أن أمّ شريك يأتيها المهاجرون الأولون، فانتقلي إلى ابن أمّ مكتوم، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك»، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد. وقوله: فَإِنْ أَرْضَعَنَ لَكُمْ فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ يقول جل ثناؤه: فَإِنْ أَرْضَع لَكُمْ نَسَاؤَكُمْ البوائن منكم أولادهن الأطفال منكم بأجرة، فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ على رضاعهن إياهم. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26562- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن جوير، عن الضحاك أنه قال في الرضاع: إذا قام على شيء فأمر الصبي أحق به، فإن يشاءت أرضعته، وإن شاءت تركته إلا أن لا يقبل من غيرها، فإذا كان كذلك أجبرت على رضاعه.

26563- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَإِنْ أَرْضَعَنَ لَكُمْ فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ هي أحق بولدها أن تأخذه بما كنت مسترضعاً به غيرها.

26564- حدثنا محمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، فإن أَرْضَعَنَ لَكُمْ فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ قال: ما تراضوا عليه «على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره».

26565- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في الصبي إذا قام على ثمن فأمره أحق أن ترضعه، فإن لم يجد له من يرضعه أجبرت الأم على الرضاع.

26566- قال: ثنا مهران، عن سفيان فَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ قال: إن أرضعت لك بأجر فهي أحق من غيرها، وإن هي أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينك وبينها عاسرتك في الأجر فاسترضع له أخرى.

وقوله: وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ يَمْعُرُوفٍ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَلِيَقْبَلَ بَعْضُكُمْ أَهْلَهَا
النَّاسَ مِنْ بَعْضٍ مَا أَمَرَكُمْ بَعْضُكُمْ بِهِ بَعْضًا مِنْ مَعْرُوفٍ. وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي
ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

26567- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ،
فِي وَقَوْلِهِ: وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ يَمْعُرُوفٍ قَالَ: اصْنَعُوا الْمَعْرُوفَ فِيمَا بَيْنَكُمْ.
26568- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ

يَمْعُرُوفٍ حَتَّى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.
وقوله: وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزِغْ لَهُ أُخْرَى يَقُولُ: وَإِنْ تَعَاسَرَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ
فِي رِضَاعٍ وَلَدَهَا مِنْهُ، فَامْتَنَعَتْ مِنْ رِضَاعِهِ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ لَهُ
إِكْرَاهُهَا عَلَى إِرِضَاعِهِ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَأْجِرُ لِلصَّبِيِّ مَرْضِعَةً غَيْرَ أُمِّهِ الْبَائِنَةِ مِنْهُ.
وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

26569- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ،
فِي قَوْلِهِ: وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزِغْ لَهُ أُخْرَى قَالَ: إِنْ أَبَتِ الْأُمُّ أَنْ تَرْضِعَ
وَلَدَهَا إِذَا طَلَّقَهَا أَبُوهُ التَّمَسَّ لَهُ مَرْضِعَةٌ أُخْرَى، الْأُمُّ أَحَقُّ إِذَا رَضِيتَ مِنْ أَجْرِ
الرِّضَاعِ بِمَا يَرْضَى بِهِ غَيْرُهَا، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْتَزِعَ مِنْهَا.

26570- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ، قَالَ: إِنْ هِيَ
أَبَتِ أَنْ تَرْضِعَهُ وَلَمْ تَوَاتِكَ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ عَاسَرْتُكَ فِي الْأَجْرِ، فَاسْتَزِغْ لَهُ
أُخْرَى.

26571- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ
اللَّهِ: وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزِغْ لَهُ أُخْرَى لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ
عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ قَالَ: فَرَضَ لَهَا مِنْ قَدَرِ مَا يَجِدُ، فَقَالَتْ: لَا
أَرْضَى هَذَا قَالَ: وَهَذَا بَعْدَ الْفِرَاقِ، فَأَمَّا وَهِيَ زَوْجَتُهُ فَإِنَّهَا تَرْضِعُ لَهُ طَائِعَةً
وَمَكْرَهَةً إِنْ شَاءَتْ وَإِنْ أَبَتِ، فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ لِي زِيَادَةٌ عَلَى هَذَا إِنْ أَحْبَبْتَ
أَنْ تَرْضِعِي بِهِذَا فَأَرْضِعِي، وَإِنْ كَرِهْتَ اسْتَزِغْتِ وَلَدِي، فَهَذَا قَوْلُهُ: وَإِنْ
تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزِغْ لَهُ أُخْرَى.

وقوله: لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ:
يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: لِيُنْفِقَ الَّذِي بَانَتْ مِنْهُ امْرَأَتُهُ إِذَا كَانَ ذَا سَعَةٍ مِنَ الْمَالِ،
وَعَنِي مِنْ سَعَةِ مَالِهِ وَغَنَاهُ عَلَى امْرَأَتِهِ الْبَائِنَةِ فِي أَجْرِ رِضَاعٍ وَلَدَهُ مِنْهَا،
وَعَلَى وَلَدِهِ الصَّغِيرِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ يَقُولُ: وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلَمْ
يُوسِعْ عَلَيْهِ، فَلْيُنْفِقْ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَلَى قَدَرِ مَالِهِ، وَمَا أَعْطَى مِنْهُ. وَبَنَحُوا
الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

26572- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ السَّيِّدِ
لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ قَالَ: مِنْ سَعَةٍ مُوجَدَةٍ، قَالَ: وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ
قَالَ: مَنْ قُتِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ.

26573- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةٍ
مِنْ سَعَتِهِ يَقُولُ: مِنْ طَائِقَتِهِ.

26574- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي
قَوْلِهِ: لِيُنْفِقَ دُونَ سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ
قَالَ: فَرَضَ لَهَا مِنْ قَدَرِ مَا يَجِدُ.

26575- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى
وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ قَالَ: ثَنِي وَرَقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي

نجيح, عن مجاهد لِيُنْفِقَ دُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ قال: على المطلقة إذا أرضعت له.

26576- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي سنان, قال: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه, عن أبي عُبَيْدة, ف قيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب, ويأكل أخشن الطعام, فبعث إليه بألف دينار, وقال للرسول: انظر ما يصنع إذا هو أخذها, فما لبث أن لبس ألين الثياب, وأكل أطيب الطعام, فجاء الرسول فأخبره, فقال رحمه الله: تَأَوَّلَ هَذِهِ الْآيَةُ لِيُنْفِقَ دُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ.

وقوله: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا يقول: لا يكلف الله أحدا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم لا ما أعطاه, إن كان ذا سعة فمن سعته, وإن كان مقدورا عليه رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته, لا يُكَلِّفُ الفقير نفقة الغني, ولا أحد من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26577- حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, في قوله: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا قال: يقول: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني.

26578- حدثنا عبد الله بن محمد الزهري, قال: حدثنا سفيان, عن هشيم لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا قال: إلا ما افترض عليها.

26579- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا يقول: إلا ما أطاق.

26580- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا قال: لا يكلفه الله أن يتصدق وليس عنده ما يتصدق به, ولا يكلفه الله أن يزكي وليس عنده ما يزكي.

يقول تعالى ذكره: سَيَجْعَلُ اللَّهُ لِلْمَقْدُورِ عَلَيْهِ رِزْقَهُ بَعْدَ عُشْرِ يُسْرًا يقول: من بعد شدة رخاء, ومن بعد ضيق سعة, ومن بعد فقر غنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26581- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُشْرِ يُسْرًا بعد الشدة الرخاء.

الآية : 8

وقوله: وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ يقول تعالى ذكره: وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه, وعن أمر رسل ربهم, فتمادوا في طغيانهم وعتوهم, ولجوا في كفرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26582- حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط عن السدي, في قوله: وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ قال: غَيَّرَتْ وَعَصَتْ.

26583- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا قال: العتو ههنا الكفر والمعصية, عُتُّوا: كفرا, وعتت عن أمر ربها: تركته ولم تقبله.

وقيل: إنهم كانوا قوما خالفوا أمر ربهم في الطلاق, فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره في ذلك. ذكر من قال ذلك:

26584- حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سمعت عمر بن سليمان يقول في قوله: وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ قال: قرية عُدَّت في الطلاق.

وقوله: فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا يقول: فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حسابا شديدا, يقول: حسابا استقصينا فيه عليهم, لم نغف لهم فيه عن شيء, ولم نتجاوز فيه عنهم, كما:

26585- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قوله: فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا قال: لم نغف عنها الحساب الشديد الذي ليس فيه من العفو شيء.

26586- حدثني عليّ قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا يقول: لم نرحم. وقوله: وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تُكْرًا يقول: وعذبناها عذابا عظيما منكرا, وذلك عذاب جهنم.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}.

وقوله: فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا يقول: فذاقت هذه القرية التي عتت عن أمر ربها ورسله, عاقبة ما عملت وأتت من معاصي الله والكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26587- حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا قال: عقوبة أمرها.

26588- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا قال: ذاق عاقبة ما عملت من الشر. الوبال: العاقبة.

26589- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا يقول: عاقبة أمرها.

26590- حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا قال: جزاء أمرها.

26591- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا يعني بوبال أمرها: جزاء أمرها الذي قد حلّ.

وقوله: وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا يقول تعالى ذكره: وكان الذي أعقب أمرهم, وذلك كفرهم بالله وعصيانهم إياه خسرا: يعني عَنَّا, لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل, وأثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله.

الآية : 10-11

القول في تأويل قوله تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا }.

يقول تعالى ذكره: أعدَّ الله لهؤلاء القوم الذين عتوا عن أمر ربهم ورسله عذاباً شديداً، وذلك عذاب النار الذي أعده لهم في القيامة فاتَّقوا الله يا أولي الألباب يقول تعالى ذكره: فخافوا الله، واحذروا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه يا أولي العقول، كما:

26592- حدثنا محمد بن قال: حدثنا أحمد بن قال: حدثنا أسباط بن السدي، في قوله: فاتَّقوا الله يا أولي الألباب قال: يا أولي العقول.

وقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُ: الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وقوله: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا اختلف أهل التأويل في المعنى بالذكر والرسول في هذا الموضع، فقال بعضهم: الذكر هو القرآن، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

26593- حدثنا محمد بن قال: حدثنا أحمد بن قال: حدثنا أسباط بن السدي، في قوله: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا قال: الذكر: القرآن، والرسول: محمد صلى الله عليه وسلم.

26594- حدثني يونس بن قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا قال: القرآن روح من الله، وقرأ: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وقرأ: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا قال: القرآن، وقرأ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ قال: بالقرآن، وقرأ: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ قال: القرآن، قال: وهو الذكر، وهو الروح.

وقال آخرون: الذكر: هو الرسول.

والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر، وذلك نصب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة.

فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذكراً من الله لكم يذكركم به، وينبهكم على خطاكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، رسولاً يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه مُبَيِّنَاتٍ يقول: مبيّنات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله.

يقول تعالى ذكره: قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكراً رسولاً، يتلو عليكم آيات الله مبيّنات، كي يخرج الذين صدّقوا الله ورسوله وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يعني من الكفر وهي الظلمات، إلى النور: يعني إلى الإيمان.

وقوله: وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يقول: ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يقول: يُدْخِلْهُ بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا يقول: ماكثين مقيمين في البساتين التي تجري من تحتها الأنهار أبداً، لا يموتون، ولا يخرجون منها أبداً.

وقوله: قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا يقول: قد وسع الله له في الجنات رزقاً، يعني بالرزق: ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب، وسائر ما أعدَّ لأوليائه فيها، فطيبه لهم.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }.

يقول تعالى ذكره: الله الذي خلق سبع سموات لا ما يعبد المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء.

وقوله: وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يقول: وخلق من الأرض مثلها لما في كل واحدة منها مثل ما في السموات من الخلق. ذكر من قال ذلك:

26595- حدثني عمرو بن علي ومحمد بن المثنى، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال في هذه الآية: الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلها قال عمرو: قال: في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق. وقال ابن المثنى: في كل سماء إبراهيم.

26596- حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله سبع سموات ومن الأرض مثلها قال: لو حدثكم بتفسيرها لكفرتم وكفرتم تكذيبكم بها.

26597- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، عن عاصم، عن زرار، عن عبد الله، قال: خلق الله سبع سموات غلط كل واحدة مسيرة خمس مئة عام، وبين كل واحدة منها خمس مئة عام، وفوق السبع السموات الماء، والله جل ثناؤه فوق الماء، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم. والأرض سبع، بين كل أرضين خمس مئة عام، وغلط كل أرض خمس مئة عام.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير، قال: قال رجل لابن عباس الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلها... الآية، فقال ابن عباس: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر.

26598- قال: ثنا عباس، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد، قال: هذه الأرض إلى تلك مثل الفسطاط ضربته في فلاة، وهذه السماء إلى تلك السماء، مثل حلقة رميت بها في أرض فلاة.

26599- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: السماء أولها موج مكفوف والثانية صخرة والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة.

26600- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا جرير بن حازم، قال: ثني محمد بن قيس، عن مجاهد، قال: هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء بيت، كل بيت منها حذو صاحبه، لو وقع وقع عليه، وإن هذا الحرم حرمي بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع.

26601- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلها خلق سبع سموات وسبع أرضين في كل سماء من سمائه، وأرض من أرضه، خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه.

26602- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس مرة مع أصحابه، إذا مرّت سحابة، قال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا هذه العنان، هذه رَوَايا الأرض

يَسْأَلُهَا اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْبُدُونَهُ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ السَّمَاءُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذِهِ السَّمَاءُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا قَوْقُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَوْقُ ذَلِكَ سَمَاءُ أُخْرَى، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَتَدْرُونَ مَا بَيْنَهُمَا خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا قَوْقُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَوْقُ ذَلِكَ الْعَرْشُ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا بَيْنَهُمَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الْأَرْضُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: تَحْتَ ذَلِكَ أَرْضٌ، قَالَ: أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرْضِينَ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ ذُلِّي رَجُلٌ يَحْبِلُ حَتَّى يَبْلُغَ أَسْفَلَ الْأَرْضَيْنِ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُ شَيْءٌ عَلِيمٌ.

26603- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض، فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلني ربي من السماء السابعة، وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم.

وقوله: يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَنْزِلُ أَمْرُ اللَّهِ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْأَرْضِ السَّابِعَةِ، كَمَا:

26604- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ قَالَ: بَيْنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

وقوله: لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَنْزِلُ قَضَاءُ اللَّهِ وَأَمْرُهُ بَيْنَ ذَلِكَ كَيْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ كُنْهَ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَمْرٌ شَاءَهُ، وَلَكِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: وَلَتَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ مُحِيطٌ عِلْمًا، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ. يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: فَخَافُوا أَيُّهَا النَّاسُ الْمَخَالِفُونَ أَمْرَ رَبِّكُمْ عِقَابَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ عِقَابِكُمْ مَانِعٌ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ، وَمُحِيطٌ أَيْضًا بِأَعْمَالِكُمْ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا خَافٍ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْكُمْ، لِيَجَازِيَكُمْ بِهَا. يَوْمَ تَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ.

سورة التحريم

سورة التحريم مدنية
وآياتها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْصَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبي المحرم على نفسه ما أحل الله له، يبتغي بذلك مرضاه أزواجه، لم تحرم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتبس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك. واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله، فحرمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطية، حرمها على نفسه يمين أنه لا يقربها طالبا بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومها وفي حجرتها. ذكر من قال ذلك:

26605- حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: ثني ابن أبي مريم، قال: حدثنا أبو غسان، قال: ثني زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراما فقالت: يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله عز وجل: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك قال: زيد: فقوله أنت علي حرام لغو.

26606- حدثني يعقوب، قال: ثني ابن علية، قال: حدثنا داود ابن أبي هند، عن الشعبي، قال: قال مسروق إن النبي صلى الله عليه وسلم حرم جاريته، وإلى منها، فجعل الحلال حراما، وقال في اليمين: قد قرص الله لكم تحلة أيمانكم.

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا سفيان، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، قال: ألى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، قال لها: أنت علي حرام، والله لا أطؤك.

26607- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك قال: كان الشعبي يقول: حرمها عليه، وحلف لا يقربها، فعوتب في التحريم، وجاءت الكفارة في اليمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وعامر الشعبي، أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم جاريته. قال الشعبي: حلف يمين مع التحريم، فعاتبه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين.

26608- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قال: إنه وجدت امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جاريته في بيتها، فقالت: يا رسول الله أنى كان هذا الأمر، وكنت أهونهن عليك؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسكتي لا تذكرى هذا لأحد، هي علي حرام إن قرئتها بعد هذا أبدا»، فقالت: يا رسول الله وكيف تحرم عليك ما أحل الله لك حين تقول: هي علي حرام أبدا؟ فقال: والله لا أتينا أبدا، فقال الله: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك... الآية، قد غفرت هذا لك، وقولك والله قد قرص الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم.

26609- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك

كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتاة، فغشيها، فبُصِرت به حفصة، وكان اليوم يومَ عائشة، وكانتا متظاهرتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتُمي عليَّ وَلَا تَدْكُرِي لِعَائِشَةَ مَا رَأَيْتِ»، فذكرت حفصة لعائشة، فغضبت عائشة. فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها أبداً، فأُنزل الله هذه الآية، وأمره أن يكفر يمينه، ويأتي جاريته.

26610- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عامر، في قول الله يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ في جارية أتاها، فأطلعت عليه حفصة، فقال: هي عليّ حرام، فاكتُمي ذلك، ولا تخبري به أحداً فذكرت ذلك.

وقال آخرون: بل حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته، فجعل الله عز وجلَّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين، فأوجب فيها من الكفارة مثل ما أوجب في اليمين إذا حنث فيها صاحبها. ذكر من قال ذلك:

26611- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله قَدْ قَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَجِلَّةً أَيْمَانَكُمْ أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا حرموا شيئاً مما أحلَّ الله لهم أن يكفروا أيمانهم بإطعام عشر مساكين أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، وليس يدخل ذلك في طلاق.

26612- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ... إلى قوله وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قال: كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثت عنده، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جاريته، فطلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيره شديدة، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت مني كان عندك، والله لقد سُتِّيتي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ لَأَرْضِيَنَّكَ فَإِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكَ سِرًّا فَاحْقُطِيهِ» قالت: ما هو؟ قال: «إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رِضًا لَكَ»، وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرت إليها أن أبشري إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرَّم عليه فتاته، فلما أخبرت بسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم أظهر الله عز وجلَّ النبي صلى الله عليه وسلم، فأُنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْصَاةً أَوْ رَاحَةً... إلى قوله وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

26613- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا هشام الدستوائي، قال: كتب إليّ يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير، أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم حرَّم جاريته، فقال الله وجلَّ ثناؤه: يا أيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ... إلى قوله قَدْ قَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَجِلَّةً أَيْمَانَكُمْ فكفر يمينه، فصير الحرام يميناً.

26614- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر، عن أبيه، قال: أنبأنا أبو عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت حفصة، فإذا هي ليست ثمَّ، فجاءته فتاته، وألقى عليها ستراً، فجاءت حفصة فقعدت على الباب حتى

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته، فقالت: والله لقد سئنتني، جامعتها في بيتي، أو كما قالت قال: وحرّمها النبي صلى الله عليه وسلم، أو كما قال.

26615- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة يا أيها النبي لم تُحرّم ما أحلّ الله لك... الآية، قال: كان حرم فتاته القبطية أمّ ولده إبراهيم يقال لها مارية في يوم حفصة، وأسرّ ذلك إليها، فأطلعت عليه عائشة، وكانتا تظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فأحلّ الله له ما حرّم على نفسه، فأمر أن يكفر عن يمينه، وعوتب في ذلك، فقال: قد قرّض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم قال قتادة: وكان الحسن يقول حرّمها عليه، فجعل الله فيها كفارة يمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّمها يعني جاريته، فكانت يميناً.

26616- حدثنا سعيد بن يحيى، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان؟ قال: عائشة، وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أمّ إبراهيم القبطية، أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إليّ شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري، وعلى فراشي قال: «ألا ترصين أن أحرّمها فلا أقرّبها؟» قالت: بلى، فحرّمها، وقال: «لا تذكرني ذلك لأحد»، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عز وجل عليه، فأنزل الله: يا أيها النبي لم تُحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك... الآيات كلها، فبلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كفر يمينه، وأصاب جاريته.

وقال آخرون: كان ذلك شراباً يشربه، كان يعجبه ذلك. ذكر من قال ذلك: 26617- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد، قال: نزلت هذه الآية في شراب يا أيها النبي لم تُحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك. حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو قطن البغدادي عمرو بن الهيثم، قال: حدثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن عبد الله بن شدّاد مثله.

26618- قال: ثنا أبو قطن، قال: حدثنا يزيد بن إبراهيم، عن ابن أبي مليكة، قال: نزلت في شراب.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون كان شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أي ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه.

فإن قائل قائل: وما برهانك على أنه صلى الله عليه وسلم كان حلف مع تحريمه ما حرم، فقد علمت قول من قال: لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك غير التحريم، وأن التحريم هو اليمين؟ قيل: البرهان على ذلك واضح، وهو أنه لا يعقل في لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل لجاريته، أو لطعام أو شراب، هذا عليّ حرام يمين، فإذا كان ذلك غير

معقول، فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشيء الحلال له: هو عليّ حرام. وإذا كان ذلك كذلك صحّ ما قلنا، وفسد ما خالفه، وبعد، فجائز أن يكون تحريم النبيّ صلى الله عليه وسلم ما حرّم على نفسه من الحلال الذي كان الله تعالى ذكره، أحله له بيمين، فيكون قوله لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ معنا: لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقر به، فتحرّمه على نفسك باليمين.

وإنما قلنا: إن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّم ذلك، وحلف مع تحريمه، كما:

26619- حدثني الحسن بن قزعة، قال: حدثنا مسلمة بن علقمة، عن داود ابن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: ألى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم، فأمر في الإيلاء بكفارة، وقيل له في التحريم لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ.

وقوله: وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: والله غفور يا محمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك، رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}.

يقول تعالى ذكره: قد بين الله عز وجل لكم تحلة أيمانكم، وحدّها لكم أيها الناس واللّه مولاكم يتولاكم بنصره أيها المؤمنون وهو العليم بمصالحكم الحكيم في تدبيره إياكم، وصرّفكم فيما هو أعلم به.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ تَبَيَّنَ الْخَيْرُ}.

يقول تعالى ذكره: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ محمد صلى الله عليه وسلم إلى بعض أزواجه، وهو في قول ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد والشعبي والضحاك بن مزاحم: حَفْصَةُ. وقد ذكرنا الرواية في ذلك قبل. وقوله: حَدِيثًا والحديث الذي أسرّ إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسرّ إليه ذلك من أزواجه تحريم فتاته، أو ما حرّم على نفسه ممّا كان الله جلّ ثناؤه قد أحله له، وحلفه على ذلك وقوله: «لا تذكري ذلك لأحد».

وقوله: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ يقول تعالى ذكره: فلما أخبرت بالحديث الذي أسرّ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبته وأظهره عليه يقول: وأظهر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على أنها قد أنبات بذلك صاحبته.

وقوله: عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار غير الكسائي: عَرَّفَ بتشديد الراء، بمعنى: عَرَّفَ النبيّ صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به، وكان الكسائي يذكر عن الحسن البصريّ وأبي عبد الرحمن السلمي وقتادة، أنهم قرأوا ذلك: «عَرَّفَ» بتخفيف الراء، بمعنى: عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سرّه، وقد استكتمها إياه: أي غضب من ذلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجازاها عليه من قول القائل لمن أساء

إليه: لأعرفنّ لك يا فلان ما فعلت, بمعنى: لإجازينك عليه قالوا: وجازاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من فعلها بأن طلقها.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه عَرَّفَ بَعْضَهُ بتشديد الراء, بمعنى: عَرَّفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفصة, يعني ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبها لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ يَقُولُ: وترك أن يخبرها ببعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26620- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا قَوْلَهُ لَهَا: لا تذكره قَلَمًا تَبَأْتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ وكان كريما صلى الله عليه وسلم.

وقوله: قَلَمًا تَبَأْتُهَا بِهِ يَقُولُ: فلما خبر حفصة نبي الله صلى الله عليه وسلم بما أظهره الله عليه من إفشائها سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عائشة قالت من أنبأك هذا يقول: قالت حفصة لرسول الله: من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به قال تَبَأْتُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ يقول تعالى ذكره: قال محمد نبي الله لحفصة: خبرني به العليم بسرائر عبادي, وضمائر قلوبهم, الخبير بأمورهم, الذي لا يخفى عنه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26621- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَلَمًا تَبَأْتُهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ولم تشك أن صاحبها أخبرت عنها قال تَبَأْتُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ}.

يقول تعالى ذكره: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتنابه جاريته, وتحريمها على نفسه, أو تحريم ما كان له حلالاً مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26622- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} يقول: زاغت قلوبكما, يقول: قد أثمت قلوبكما.

26623- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا محمد بن طلحة, عن زبيد, عن مجاهد قال: كنا نرى أن قوله: {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} شيء هين, حتى سمعت قراءة ابن مسعود: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا».

26624- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا: أي مالت قلوبكما.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن قتادة فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا مالت قلوبكما.

26625- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا يقول: زأغت.
26626- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان صَعَتْ قُلُوبُكُمَا قال: زأغت قلوبكما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، قال الله عز وجل: إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا قال: سرهما أَنْ يَجْتَنِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاريته، وذلك لهما موافق صَعَتْ قُلُوبُكُمَا إِلَى أَنْ سَرَّهَ مَا كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وقوله: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِلَّيْنِ أُسْرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، والتي أفشت إليها حديثه، وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26627- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللتين قال الله جل ثناؤه: إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا قال: فحج عمر، وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر، وعدلت معه بإداوة، ثم أتاني فسكبت على يده وتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما: إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا قال عمر: وأعجبا لك يا بن عباس قال الزهري: وكره والله ما سأله ولم يكتف، قال: هي حفصة وعائشة قال: ثم أخذ يسوق الحديث، فقال: كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، ثم ذكر الحديث بطوله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن أشهب، عن مالك، عن أبي النضر، عن علي بن حسين، عن ابن عباس، أنه سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المتظاهرتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: عائشة وحفصة.

26628- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس يقول: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين، فما أجد له موضعاً أسأله فيه حتى خرج حاجاً، وصحبته حتى إذا كان بمصر الظهران ذهب لحاجته، وقال: أدركني بإداوة من ماء فلما قضى حاجته ورجع، أتته بإداوة أصبها عليه، فرأيت موضعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتين المتظاهرتان على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فما قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

26629- حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: حدثنا عمر بن يونس، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثنا سماك أبو زميل، قال: ثني عبد الله بن عباس، قال: ثني عمر بن الخطاب، قال: لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه، دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ما شق عليك من شأن النساء، فلئن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته، وجبرائيل وميكائيل، وأنا وأبو بكر معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام، إلا رجوت أن يكون الله مصدق قولي، فنزلت هذه الآية، آية التخيير: عَسَى رَبُّهُ

إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ، وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُوَلَّاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ... الآية، وكانت عائشة ابنة أبي بكر وحفصة تتظاهران على سائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم.

26630- حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ يَقُولُ: عَلَى مَعْصِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَذَاهُ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَمْرٍ وَإِنِّي لَأَهَابُكَ، قَالَ: لَا تَهْبِئَنِي، فَقَالَ: مِنَ اللَّتَانِ تَطَاهَرْتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ.

وقوله: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُوَلَّاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ وَلِيهِ وَنَاصِرُهُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَخِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ. وَقِيلَ: عَنِي بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

26631- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. 26632- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ الضَّحَّاكَ، فِي قَوْلِهِ: وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: خِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْرَائِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى السَّيْنَانِيُّ مِنْ قُرْبَةٍ بِمَرْوٍ يُقَالُ لَهَا سَيْنَانٌ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ بْنَ مَزَاحِمٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: خِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ: الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

26633- حَدَّثَنَا بَشَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ. حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ.

26634- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنْ قَوْلَهُ: وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، وَهُوَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ فَإِلَى الْإِنْسَانِ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ الرَّجُلِ: لَا تَقْرِئَنَّ إِلَّا قَارِئَ الْقُرْآنِ، يُقَالُ: قَارِئُ الْقُرْآنِ، وَإِنْ كَانَ فِي اللَّفْظِ وَاحِدًا، فَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ، لِأَنَّهُ قَدْ أُذِّنَ لِكُلِّ قَارِئٍ الْقُرْآنَ أَنْ يَقْرِئَهُ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ جَمَاعَةً.

وقوله: وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ يَقُولُ: وَالْمَلَائِكَةُ مَعَ جَبْرِيلَ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْوَانٌ عَلَى مَنْ أَذَاهُ، وَأَرَادَ مَسَاءَتَهُ. وَالظَّهِيرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ فِي مَعْنَى جَمْعٍ. وَلَوْ أُخْرِجَ

بلفظ الجميع لقليل: والملائكة بعد ذلك ظهراء. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

26635- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ قال: وبدأ بصالح المؤمنين ها هنا قبل الملائكة، قال: وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا } . يقول تعالى ذكره: عسى رب محمد إن طلقك يا معشر أزواج محمد صلى الله عليه وسلم أن يبدله منكن أزواجا خيرا منكن.

وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذيرا من الله نساءه لما اجتمعن عليه في الغيرة. ذكر من قال ذلك:

26636- حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم، قالوا: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن: عسى ربه إن طلقهن أن يبدله أزواجا خيرا منكن، قال: فنزل كذلك.

26637- حدثنا يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن حميد، عن أنس، عن عمر، قال: يلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاهن إياه، فاستقرتهن امرأة امرأة، أعطاها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقول: إن أبيت أن يبدله الله خيرا منكن، حتى أتيت، حسبت أنه قال علي زينب، فقالت: يا بن الخطاب، أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: قال عمر بن الخطاب: يلغني عن أمهات المؤمنين شيء، فاستقرتهن أقول: لتكفرن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ليدلنه الله أزواجا خيرا منكن، حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين، فقالت: يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فكففت، فأنزل الله عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ... الآية.

واختلفت القراء في قراءة قوله: أَنْ يُبَدِّلَهُ فَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ: «يُبَدِّلُهُ أَزْوَاجًا» مِنَ التَّبْدِيلِ وَقَرَّاهُ عَامَةً قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: يُبَدِّلُ لَهُ بِتَخْفِيفِ الدَّالِ مِنَ الْإِبْدَالِ.

والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: مُسْلِمَاتٍ يَقُولُ: خاضعات لله بالطاعة مُؤْمِنَاتٍ يَعْنِي مُصَدِّقَاتٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وقوله قَانِتَاتٍ يَقُولُ: مطيعات لله، كما:

26638- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله قَانِتَاتٍ قال: مطيعات.

26639- حدثني ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله قَاتِلَاتٍ قال مطيعات.
وقوله: تَائِبَاتٍ يقول: راجعات إلى ما يحبه الله منهنّ من طاعته عما يكرهه منهنّ عَائِدَاتٍ يقول: متذلات لله بطاعته. وقوله سَائِحَاتٍ يقول: صائمات.
واختلف أهل التأويل في معنى قوله: سَائِحَاتٍ فقال بعضهم: معنى ذلك: صائمات. ذكر من قال ذلك:
26640- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله سَائِحَاتٍ قال: صائمات.
26641- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله سَائِحَاتٍ قال: صائمات.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال السَّائِحَاتِ: الصائمات.
26642- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: سَائِحَاتٍ يعني: صائمات.
وقال آخرون: السَّائِحَاتِ: المهاجرات. ذكر من قال ذلك:
26643- حدثنا إسحق بن إسرائيل، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن زيد بن أسلم، قال: السَّائِحَاتِ: المهاجرات.
26644- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله سَائِحَاتٍ قال: مهاجرات ليس في القرآن، ولا في أمة محمد سياحة إلا الهجرة، وهي التي قال الله السَّائِحُونَ.
وقد بينا الصواب من القول في معنى السَّائِحِينَ فيما مضى قبل بشواهد مع ذكرنا أقوال المختلفين فيه، وكرهنا إعادته.
وكان بعض أهل العربية يقول: نرى أن الصائم إنما سمي سائحا، لأن السائح لا زاد معه، وإنما يأكل حيث يجد الطعام، فكأنه أخذ من ذلك.
وقوله: تَبَّاتٍ وهنّ اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهنّ وأبكارا وهنّ اللواتي لم يجامعن، ولم يفترعن.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قُوا أَنْفُسَكُمْ يقول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.
وقوله: وَأَهْلِيكُمْ نَارًا يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26645- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن رجل، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ قال: علموهم، أدّبوهم.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان، عن منصور، عن رجل، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا يقول: أدّبوهم، علموهم.

حدثني الحسين بن يزيد الطحان، قال: حدثنا سعيد بن خثيم، عن محمد بن خالد الضبي، عن الحكم، عن عليّ بمثله.

26646- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا يقول: أعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر يُنجيكم الله من النار.

26647- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

26648- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوِّدْهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ قال: قال يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا قال: مروهم بطاعة الله، وانهوهم عن معصيته. وقوله: وَقَوِّدْهَا النَّاسُ يقول: حطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت.

وقوله: عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ يقول: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله، غلظ على أهل النار، شداد عليهم لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ يَقُول: لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يقول: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله يوم القيامة للذين جحدوا وحادنيتهم في الدنيا يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: يقال لهم: إنما تثابون اليوم، وذلك يوم القيامة، وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون، فلا تطلبوا المعاذير منها.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

يقول تعالى ذكره: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ يَقُول: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم تَوْبَةً نَصُوحًا يقول: رجوعاً لا تعودون فيها أبداً. ونحن الذي قلنا في تأويل قوله تَوْبُوا قَالَ أَهْل التَّوْبِ. ذكر من قال ذلك:

26649- حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن النعمان بن بشير، قال: سئل عمر عن التوبة النصوح، قال: التوبة النصوح: أن يتوب الرجل من العمل السيء، ثم لا يعود إليه أبداً.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر، قال: التوبة النصوح: أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه، أو لا تريد أن تعود.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، قال: سألت عمر عن قوله تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا قال: هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبداً.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: التوبة النصوح، أن يتوب من الذنب فلا يعود.

حدثنا به ابن حميد مرة أخرى، قال: أخبرني عن عمر بهذا الإسناد، فقال: التوبة النصوح: الذي يذنب ثم لا يريد أن يعود.

26650- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله تَوْبَةً تَصُوحًا قال: يتوب ثم لا يعود.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: التوبة النصوح: الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه.

26651- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه، ويقال: توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه.

26652- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثني الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: تَوْبَةً تَصُوحًا قال: يستغفرون ثم لا يعودون.

26653- حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: حدثنا المحاربي، عن جوير، عن الضحاك، في قوله: تَوْبَةً تَصُوحًا قال: النصوح: أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبداً.

26654- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا قال: هي الصادقة الناصحة.

26655- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قول الله: تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا قال: التوبة النصوح الصادقة، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته، وحب الرجوع إلى طاعته، فهذا النصوح.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة الأمصار خلا عاصم: تَصُوحًا بفتح النون على أنه من نعت التوبة وصفتها، وذكر عن عاصم أنه قرأه: «تَصُوحًا» بضم النون، بمعنى المصدر من قولهم: نصح فلان لفلان نصوحاً.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بفتح النون على الصفة للتوبة لإجماع الحجة على ذلك.

وقوله: عَسَى رَبَّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يَقُولُ: عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التي سلفت منكم وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تجري

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَقُولُ: وَأَنْ يَدْخُلَكُمْ بَسَاتِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارِ
يَوْمَ لَا يَحْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَقُولُ: يسعى نورهم أمامهم وبأيمانهم يقول: وبأيمانهم
كتابهم، كما:

26656- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني
أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: يَوْمَ لَا يَحْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ... إلى قوله: وبأيمانهم يأخذون كتابهم فيه البشرى.
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَخْبِرًا عَنْ قِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، يسألون ربهم أن يبقي لهم
نورهم، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط، وذلك حين يقول المنافقون
والمنافقات للذين آمنوا انظُرُوا نَفْسِي مِنْ نُورِكُمْ. وينحو الذي قلنا في ذلك
قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26657- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، قوله: رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا قال: قول المؤمنين حين يُطْفَأُ
نور المنافقين.

26658- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن عاصم، عن
الحسن، قال: ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة، يعطى المؤمن
والمنافق، فيطفا نور المنافق، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره، فذلك قوله:
رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا.

26659- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن
يزيد بن شجرة، قال: كان يذكرنا وبكي، ويصدق قوله فعله، يقول: يا أيها
الناس إنكم مكتوبون عند الله عز وجل بأسمائكم وسيماكم، ومجالسكم
ونجواكم وخلائكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان بن فلان هالك نورك،
ويا فلان بن فلان، لا نور لك.

وقوله: وَاعْفِرْ لَنَا يَقُولُ: واستر علينا ذنوبنا، ولا تفضحنا بها بعقوبتك إيانا
عليها إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى إِتْمَامِ نُورِنَا لَنَا، وغفران
ذنوبنا، وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ
عَلَيْهِمْ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي جاهد
الْكُفَّارَ بالسيف وَالْمُنَافِقِينَ بالوعيد واللسان. وكان قتادة يقول في ذلك ما:
26660- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله:
يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ قال: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام
أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين بالحدود.
وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ يَقُولُ: واشدد عليهم في ذات الله وما واهم جَهَنَّمَ يَقُولُ:
ومكثهم جهنم، ومصيرهم الذي يصيرون إليه نار جهنم وَبُئْسَ الْمَصِيرُ قال:
وبئس الموضع الذي يصيرن إليه جهنم.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ
وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: مَثَلُ الله مثلاً للذين كفروا من الناس وسائر الخلق
امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا، وهما نوح ولوط
فخانتاهما.

ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه
مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطاً كان يُسير الضيف، وتُدلُّ عليه. ذكر
من قال ذلك:

26661- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا سفيان، عن
موسى بن أبي عائشة، عن سلمان بن قيس، عن ابن عباس، قوله:
فَخَانَتَاهُمَا قَالَ: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط
تُدلُّ على الضيف.

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: حدثنا إسماعيل بن عمر، قال:
حدثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قيس، قال:
سمعت ابن عباس قال في هذه الآية: أما امرأة نوح، فكانت تخبر أنه مجنون
وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدلُّ على لوط.

26662- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عامر
الهمداني، عن الضحاك كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ قَالَ: ما بغت
امرأة نبي قط فَخَانَتَاهُمَا قَالَ: في الدين خانتاهما.

26663- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني
أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ
وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا قَالَ: كانت
خيانتهم أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح،
فإذا أمن مع نوح أحد أخبرت الجبارة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها
وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطاً أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل
السوء فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.

26664- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة،
عن عمرو بن أبي سعيد، أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية فَخَانَتَاهُمَا
قال: في الدين.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن
يزيد، عن عكرمة، في قوله كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا
قال: وكانت خيانتهم أنهما كانتا مشركتين.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: عبيد بن سليمان، عن
الضحاك فَخَانَتَاهُمَا قَالَ: كانتا مخالفتين دين النبي صلى الله عليه وسلم
كافرتين بالله.

26665- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن
أبي معاوية البجلي، قال: سألت سعيد بن جبير: ما كانت خيانة امرأة لوط
وامرأة نوح؟ فقال: أما امرأة لوط، فإنها كانت تدلُّ على الأضياف وأما
امرأة نوح فلا علم لي بها.

وقوله: فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَقُول: فلم يغن نوح ولوط عن
امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهم أزواجهما شيئاً، ولم ينفعهما أن

كانت أزواجهما أنبياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26666- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وامْرَأةً لُوطٍ...** الآية، هاتان زوجتا نبيي الله لما عصتا ربهما، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً.

26667- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وامْرَأةً لُوطٍ...** الآية، قال: يقول الله: لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئاً، وامْرَأة فرعون لم يضرها كفر فرعون.

وقوله: **وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ** قال الله لهما يوم القيامة: ادخلا أيتها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**. يقول تعالى ذكره: وضرب الله مثلاً للذين صدّقوا الله ووجدوه، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحدته، وصدّقت رسوله موسى، وهي تحت عدوّ من أعداء الله كافر، فلم يضرها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت، إذ قالت: **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتاً في الجنة، كما:

26668- حدثني إسماعيل بن حفص الأبلّج، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس. فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا أسباط بن محمد، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، قال: قال سليمان: كانت امرأة فرعون، فذكر نحوه.

26669- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: حدثنا القاسم بن أبي بزة، قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برّب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.

26670- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةً فِرْعَوْنَ** وكان أعنى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فوالله ما ضرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه.

وقوله: **وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ** وتقول: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله.

وقوله: **وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك، ومن عذابهم.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَائِنِينَ}. يقول تعالى ذكره: وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا يقول: التي منعت جيب درعها جبريل عليه السلام, وكل ما كان في الدرع من خرق أو فتق, فإنه يسمى فَرْجًا, وكذلك كل صدع وشق في حائط, أو فرج سقف فهو فرج.

وقوله: فَتَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها, وذلك فرجها, من روحنا من جبرئيل, وهو الروح. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26671- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَتَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا فنفخنا في جيبها من روحنا.

وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا يقول: آمنت بعيسى, وهو كلمة الله وَكُتِبَ يَعْنِي التوراة والإنجيل وَكَاتَتْ مِنَ الْقَائِنِينَ يقول: وكانت من القوم المطيعين. كما:

26672- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة مِنَ الْقَائِنِينَ من المطيعين.